



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

مصطفى الأشرف نضاله ومواقفه الفكرية من خلال كتاباته

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر

إشراف الأستاذ (ة) :

د. رحايلي حياة

إعداد الطالبتين:

➤ سراي فطيمة الزهراء

➤ مفتاح أميرة

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ(ة)	الرتبة	الصفة	الجامعة
د. خميسة مدور	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة 08 ماي 1945 – قالمة-
د. رحايلي حياة	أستاذ محاضر ب	مشرفا ومقررا	جامعة 08 ماي 1945 – قالمة-
د. بولجويجة سعاد	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة 08 ماي 1945 – قالمة-

السنة الجامعية: 1446/1445 هـ الموافق لـ : 2025/2024 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشكر والعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا
وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بداية نحمد الله تعالى ونشكره على فضله ونعمته في إتمام هذا العمل
وباسم العرفان والإعتراف بالجميل نتوجه بجزيل الشكر وعظيم الإمتنان
إلى دكتورنا المشرفة " رحيلى حياء " التى لم تبخل علينا بتوجيهاتها
السديدة والقيمة، وكانت خير داعم لنا خلال هذا المشوار، فجزاها الله عنا
كل خير، وبارك فى عملها وعطاها.

كما لا يفوتنا أن نشكر جميع أساتذة شعبة التاريخ الذين أطرونا خلال طيلة
الموسم الجامعي نرجوا من الله أن يوفقهم فى عملهم

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب
الآخرة إلا بعفوك...ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك....

إلى نفسي...لكل لحظة صبر، وكل إنكسار تجاوزته، وكل خطوة خطوتها رغم التعب، أهديك هذا الإنجاز
الذي أنت أهله.

إلى من كانت دعواتهم زادي، ورضاهم سر توفيتي، ومحبتهم ظلا وأرفا في كل دروب الحياة إلى والدي العزيز
سراي رأي الدين يا من غرست في أعماقي معاني الصبر والعزيمة، وبذلت جهدك ووقتك لتعبد لي طريق
المجد....لك كل الإمتنان والعرفان فأنت قدوتي ومصدر إلهامي الأول.

إلى والدي الحبيبة خلايفية فضيلة يا نبع الحنان، ويا سيدة الدعاء...يا من كان لحضورك في حياتي أثر لا
يقاس علمتني أن الإيمان يصنع المعجزات وأن القلب الصادق لا يخذله الله أبدا
إلى أخي الغالي تامر السند الذي لا يميل، والرفيق الذي لا يخون، شكرا لوقوفك الدائم في صفتي، ودعمك
الذي كان لي ملاذا في كل حين

إلى أختي الغالية إسراء بسمة البيت يا سندي في الحياة في لحظات التعب وحبسية قلبي
إلى رفيقات الدرب إلى من تقاسم معي الحلم والقلق والنجاح كنتن الزاد في طريق العلم ولذكرى أمتن أجمل
،إلى روح جدتي الطاهرة نورة: طيب الله ثراها فنبض دعائك لا يزال يرافقني وعطرك باق في الذاكرة
والوجدان رحمك الله وجعل الجنة مأواك

لكم جميعا، أهدي ثمرة هذا الجهد وعبق هذا الإنجاز، إعترافا بفضلكم وتقديرا لعطائكم وإمتنانا لكم.

"وآخر دعواهم أنا الحمد لله رب العالمين"

"سراي فاطمة الزهراء"

الإهداء

إلى النور الذي أثار دري، إلى من كانت ولا تزال مصدر قوتي وثباتي، إلى من حملتني بين أضلاعها حبا لا يقارن، وسهرت الليالي لأجلي، إلى أُمي الحبيبة "قوفي حورية" نبض قلبي، روحي وملجئي، التي لا تكفيها كلمات الدين، ولا تفياها الحروف حقها، أهديك هذا النجاح، فكل ما انا عليه اليوم هو بفضل الله، ثم دعواتك الصادقة التي لا تغيب.

إلى روح أخي الغالي حمزة، رحمة الله عليه، ما غبت يوما عن قلبي، تمنيتك بجانبني يوم تخرجي أن تشاركني هذا الفرح الذي لطالما حلمت ان يجمعنا، كنت حاضرا في دعائي، وفي كل لحظة من لحظات هذا الإنجاز، رحمة الله عليك وجعل مقامك في جنات النعيم، سيبقى ذكرك حيا في قلبي ما حييت.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أعبر عن إمتناني العميق لأختي الحبيبة أمال، التي كانت السند الحقيقي والداعم المستمر لي ماديا ومعنويا والتي كان دعمها حجر الأساس في مواصلة مشواري، فكانت النور في عمتي والقوة في ضعفي، فلها مني كل الحب والإمتنان .

إلى كل من آمن بي، وشجعني ودفعني للأمام بكلمة أو إبتسامة أو دعاء صادق أهدي هذا الإنجاز فهو منكم وإليكم .
إلى رفيقات الدرب والمواقف، من شاركنني الطريق بجلوه ومره، وكن العون والسند في درب العلم ..أهديكن هذه الثمرة التي كانت لبعضكن سببا في أن تكتمل، فبكن كانت الرحلة ألطف وأجمل .

وأخيرا إلى تلك النفس التي آمنت بجلهما، ومضت رغم التعب والظروف، وتجاوزت الإنكسار، إلى ذاتي المثابرة، التي رغم كل شيء إختارت الإستمرار وآمنت بان لكل مجتهد نصيب ...أهديها هذا الإنجاز لأنها مضت بشجاعة حين كان التراجع أسهل .

" مفتاح أميرة "

قائمة المختصرات

- تر : ترجمة
- ج : الجزء
- ط : الطبعة
- مج : مجلد
- د د ن : دون دار النشر
- د م ن : دون مكان النشر
- د.س.ن : دون سنة النشر
- إ ع : إعداد

المقدمة

المقدمة:

شهدت منطقة المغرب العربي، ولا سيما الجزائر، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين تحولات كبرى بفعل التغلغل الاستعماري الفرنسي، الذي لم يكن مجرد احتلال عسكري بل مشروعًا استيطانيًا وثقافيًا هدف إلى طمس الهوية الوطنية ومحو الذاكرة الجماعية للشعب الجزائري. في هذا السياق، برزت حركة فكرية ونضالية مضادة، شكلتها نخبة من المثقفين والمناضلين الذين أدركوا أن معركة التحرر لا تخاض بالسلاح فقط، بل بالقلم والكلمة والتأريخ الواعي.

ومن بين هذه النخبة المثقفة، يبرز اسم مصطفى الأشرف كأحد الرموز الفكرية البارزة التي جمعت بين العمل السياسي والتحليل التاريخي والكتابة الثقافية. فقد أسهمت كتاباته في بناء الوعي الوطني، من خلال قراءته النقدية للتراث، وتحليله لمخلفات الاستعمار، واهتمامه بالتاريخ المغاربي من منظور وطني، بعيدًا عن القراءة الكولونيالية.

اذ ينتمي فكر مصطفى الأشرف إلى جيل ما بعد الاستقلال، ذلك الجيل الذي واصل النضال من أجل بناء دولة جزائرية ذات سيادة فكرية وثقافية، مستندًا في مشروعه إلى مراجعة المفاهيم، والبحث في الجذور التاريخية لهوية المجتمع الجزائري، والوقوف على قضايا اللغة، والإسلام، والأمازيغية، بوصفها مكونات أساسية للهوية الوطنية الجامعة.

وتأتي هذه الدراسة لتسبر أغوار فكر مصطفى الأشرف، من خلال التطرق إلى مساره الشخصي، وسياقه الزمني، وتحليل كتاباته التي تناول فيها قضايا تاريخية حساسة مثل الثورة الجزائرية، والهوية، وبنية الدولة الوطنية. كما نسعى في بحثنا هذا إلى إبراز خصوصية طرحه وموقعه ضمن الحركة الفكرية الجزائرية الحديثة، من خلال منهجيته في التحليل التاريخي، ونقده للنماذج الرسمية للتأريخ.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة في كونها تسلط الضوء على شخصية سياسية وفكرية بارزة في تاريخ الجزائر المعاصر ألا وهو مصطفى الأشرف الذي جمع بين النضال السياسي والعمل الفكري، فبفضل كتاباته ومواقفه ساهم

في بلورة تصورات حول قضايا جوهرية مثل الهوية الوطنية، الأمة الجزائرية الثورة التحريرية، والإشتراكية، وتكمن أهمية هذا الموضوع أيضا في أنه يعالج فكر أحد المثقفين الجزائريين الذين كان لهم دور فعال في المرحلة الإنتقالية التي أعقبت الإستقلال، سواء من خلال إسهاماته الصحفية أو من خلال موقعه ضمن دوائر صنع القرار، كما تسهم دراسة أفكاره من خلال تحليل كتاباته في الإضاءة على مسارات تشكل الوعي الوطني الجزائري وفهم الخلفيات التي رافقت مشروع بناء الدولة الوطنية، وتبرز أهمية هذا العمل بشكل خاص في ظل محدودية الدراسات التي تناولت فكر مصطفى الأشرف بعمق رغم تأثيره الواضح في الساحة السياسية والفكرية آنذاك .

أهداف الدراسة:

تكمن أهداف هذه الدراسة في:

- 1 - التعرف على المسار النضالي لمصطفى الأشرف ومراحل تطوره السياسي والفكري.
- 2 - تحليل وفهم أبرز القضايا الوطنية التي تناولها في كتاباته " قضية الهوية الوطنية" الإسلام، اللغة العربية، الثقافة، الأمازيغية"، مشروع الثورة التحريرية، الأمة الجزائرية، الخيار الإشتراكي".
- 3 - إبراز مدى تأثير تجربته النضالية في صياغة فكره وربط مواقفه الفكرية بسياقاتها التاريخية والسياسية.
- 4 - المساهمة في توثيق فكر أحد أبرز المثقفين الجزائريين وفتح المجال أمام دراسات لاحقة للغوص في تراثه الفكري.
- 5 - إبراز موقع مصطفى الأشرف ضمن المشهد الفكري والسياسي الجزائري بعد الإستقلال من خلال مقارنته بمواقف وتوجهات معاصرة له.

دوافع إختيار الموضوع:

يعد إختيار الموضوع خطوة أساسية في كل عمل بحثي، ولا يتم ذلك إلا بمعزل عن خلفيات متعددة تجمع بين ما هو مرتبط باهتمامات الباحث وقناعاته، وما هو موضوعي يتصل بأهمية القضية المدروسة، وفي إطار هذا السياق يمكن إبراز دوافع إختيار هذا الموضوع في مايلي:

الأسباب الذاتية:

- 1 - السعي لتناول موضوع جديد يتعد عن التناول التقليدي المكرر.
- 2 - الاهتمام الخاص بالمفكرين الجزائريين الذين كان لهم دور في بناء الوعي الوطني.
- 3 - السعي لإعادة الإعتبار لأحد الأصوات الفكرية التي لم تنل حظها الكافي من التقدير والبحث الأكاديمي، رغم غنى إنتاجه وتحليله العميق لقضايا المجتمع الجزائري.

الأسباب الموضوعية:

- 1 - أهمية شخصية مصطفى الأشرف ككاتب ومثقف شارك فعليا في الثورة التحريرية، وساهم لاحقا في تقديم رؤى لبناء الدولة الجزائرية.
- 2 - تعدد القضايا الوطنية المطروحة في كتاباته مثل الهوية الوطنية والمشروع الثوري وغيرها من القضايا، مما يتيح مادة غنية ومتنوعة للتحليل
- 3 - أهمية كتابه الجزائر الأمة والمجتمع كمصدر أساسي لفهم تحولات المجتمع الجزائري من منظور مثقف مشارك وناقد في آن واحد.

إشكالية الدراسة:

تتمحور إشكالية هذه الدراسة في من هو مصطفى الأشرف ، وكيف تجسد نضاله في مرحلتي الإستعمار وما بعد الإستقلال ؟ وما مدى تأثير هذا النضالي في بلورة مواقفه الفكرية وتصوره لقضايا الهوية الوطنية ومشروع الثورة الجزائرية كما عبر عنها في كتاباته .

وتندرج ضمن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات الفرعية وهي كالتالي:

- كيف تجلّى نضاله في صفوف الحركة الوطنية وخلال الثورة التحريرية خاصة من خلال مشاركته في الأحداث الكبرى كحادثة إختطاف الطائرة سنة 1956؟
- ما هي أهم المناصب التي تقلدها بعد تحقيق الإستقلال؟
- كيف عالج مصطفى الأشرف مسألة الهوية الوطنية في كتاباه؟ وما موقفه من مكوناتها " الإسلام، اللغة العربية، الثقافة، الامازيغية "؟
- كيف كان منظوره للمشروع الثوري؟ وهل اعتبره مجرد عمل عسكري أم مشروع تحرري شامل وما مدى تفرده في هذا التصور مقارنة بمواقف شخصيات وطنية أخرى؟
- هل أنكر مصطفى الأشرف وجود الأمة الجزائرية كما أنكرها بعض المفكرين الجزائريين قبله وإن لم يكن كذلك فكيف أسس لمفهومها، وما أوجه الاختلاف أو التقاطع بين تصوره لمفهوم الأمة والتصورات الأخرى المطروحة في نفس السياق؟
- ماهي الصورة التي رسمها مصطفى الأشرف للإشتراكية الجزائرية، وهل كان من المدافعين عن هذا الخيار باعتباره أداة للتحرر وبناء مجتمع عادل، أم إنتقده وأبرز محدودياته ضمن السياق الجزائري؟

مناهج الدراسة:

- 1 - **المنهج التاريخي:** تم الإعتماد عليه لتتبع السياق التاريخي للفكر السياسي والإجتماعي للمرحلة التي عاش فيها مصطفى الأشرف من خلال الرجوع إلى أبرز المخططات التي شكلت وعيه، وتحليل الظروف التاريخية التي سامت أو كان لها دور في تشكيل مواقفه خاصة تلك المتعلقة بالثورة الجزائرية وبناء الدولة المستقلة.
- 2 - **المنهج الوصفي:** لتقديم صورة شاملة عن السياق الذي نشأ فيه مصطفى الأشرف، من خلال وصف بيئته الأسرية والإجتماعية والتي أسهمت في تشكيل شخصيته وبداية إنخراطه في المسار النضالي.
- 3 - **المنهج التحليلي:** تم توظيف هذا المنهج لفهم مضمون كتابات الأشرف وتحليل مضامينها الفكرية والسياسية.

4- المنهج المقارن: من خلال مقارنة مواقف مصطفى الأشرف المطروحة في كتاباته، مع مواقف شخصيات فكرية وسياسية أخرى معاصرة له كفرحات عباس وأحمد بن بلة وغيرها، كما إعتمدناه- في رصد مختلف المواقف التي تبناه مصطفى الأشرف حول موضوع الهوية الوطنية والأمة الجزائرية والإشتراكية الجزائرية.

حدود الدراسة:

من الناحية الزمنية تغطي الدراسة المرحلة الممتدة من ميلاد مصطفى الأشرف سنة 1917 إلى غاية وفاته سنة 2007 مع التركيز على الفترة التي أعقبت الإستقلال حيث بلور الأشرف أبرز أفكاره وعبر عنها بوضوح في مؤلفاته.

مصادر البحث ومراجعته:

أ/ المصادر:

__ كتاب الجزائر الأمة والمجتمع لمصطفى الأشرف: والذي يعد المصدر الرئيسي للدراسة حيث تم الإعتماد عليه بشكل خاص في كل من الفصلين الثالث والرابع لتحليل مواقف مصطفى الأشرف الفكرية من القضايا المطروحة في الفصلين .

ب/ المراجع :

__ كتاب إضاءات في تاريخ الجزائر لمحمد أرزقي فراد :تم الإعتماد على هذا الكتاب وبالأخص في الفصل الأول وتحديدًا في تقديم خلفية تاريخية حول المولد وبيئة النشأة "الأسرية والإجتماعية" التي شكلت وعيا وطنيا لدى مصطفى الأشرف .

كما إستفادت هذه الدراسة من مجموعة من الأعمال الأكاديمية ذات الصلة بالموضوع ذكر منها:

- أطروحة دكتوراه للدكتورة (رحايلي حياة) والتي جاءت عنوا "الإسلام والإشتراكية في مشروع الثورة الجزائرية تنظيرا وممارسة"

- أطروحة دكتوراه ل (عرعار زكية) تحت عنوان "الخطاب النقدي ما بعد الكولونيالي عند مصطفى الأشرف"

مذكرة ماجستير ل سلاف نعيمة والتي جاءت بعنوان " النخبة المثقفة والسلطة في الجزائر، مصطفى الأشرف نموذجا" وغيرها من الرسائل الجامعية التي تخدم الدراسة والتي تم وضعها في نهاية المذكرة .

و إلى جانب ذلك، إستعانت هذه الدراسة أيضا بمجموعة من المقالات الأكاديمية التي ساهمت في تعميق التحليل والمقارنة، حيث تم توظيفها لرصد مواقف شخصيات وطنية أخرى ومقارنتها بتصورات ومواقف مصطفى الأشرف وإبراز نقاط الاختلاف بينه وبين مفكرين وسياسيين معاصرين له، ونذكر من بين هذه المقالات :

- مصطفى الأشرف : موقفه من الإسلام وتصوره للإشتراكية في مشروع الثورة الجزائرية ل رحايلي حياة .
- قراءة في كتاب الجزائر الأمة والمجتمع لمصطفى الأشرف ل بلامين نصيرة،
- البعد الإسلامي للنخبة الجزائرية فب نضالها السياسي ضد الإستعمار الفرنسي ل بن دراجي بشرى .
- الهوية الأمازيغية ومسألة بناء الدولة في الجزائر مقارنة قانونية ل أوكيل محمد أمين، وغيرها من المقالات .

خطة الدراسة :

وللإجابة على الإشكالية والتساؤلات المطروحة سابقا، قمنا بتقسيم هذه الدراسة إلى " مقدمة وأربعة فصول رئيسية تليها خاتمة، فضلا عن القائمة البيبليوغرافية، وقائمة الملاحق " :

المقدمة :

الفصل الأول : والذي أدرجناه تحت عنوان " مصطفى الأشرف : المثقف والكاتب "، تم تخصيص هذا الفصل لمعرفة كل ما يتعلق بالسيرة الذاتية لمصطفى الأشرف، حيث تطرقنا في البداية إلى مولده وبيئته الأسرية والاجتماعية التي ترعرع فيها، ثم تناولنا مساره التعليمي الذي ساهم في تشكيل وعيه وبلورة شخصيته الفكرية لنصل في الأخير إلى رصد إنتاجه الفكري الذي عكس إنشغاله العميق بالقضايا الوطنية، وأسهم في بلورة ملامح المثقف الملتزم في السياق الجزائري .

الفصل الثاني : والذي جاء بعنوان "نضاله السياسي في الفترة الإستعمارية ومرحلة ما بعد الإستقلال" حيث تناولنا فيه المسار النضالي لمصطفى الأشرف بدءا من نشاطه في الحركة الوطنية، مروراً بمساهمته في الثورة التحريرية وإنخراطه في صفوف جبهة التحرير الوطني، مع التوقف عند محطة مفصلية في حياته السياسية تمثلت في حادثة إختطاف الطائرة سنة 1956 والتي جمعت مع قادة الثورة، كما عالجنا أهم المسؤوليات والمناصب التي تقلدها بعد الإستقلال والتي مكنته من التأثير في مسار الدولة الجزائرية الناشئة .

الفصل الثالث : والمعنون ب " الهوية الوطنية في فكر مصطفى الأشرف"، خصصنا هذا الفصل لتحليل تصور مصطفى الأشرف للهوية الوطنية، حيث إستعرضنا مواقفه إتجاه أبرز مكونات هذه الهوية بدءا من الإسلام كمرجعية روحية، مروراً باللغة العربية باعتبارها رمزا للإنتماء الحضاري، ثم الثقافة الوطنية كأداة للمقاومة وبناء الذات الجماعية، وصولاً إلى موقفه من الأمازيغية كعنصر أصيل ومؤسس في الوعي الوطني الجزائري، حيث تم في هذا السياق مقارنة موقفه مع مواقف من الشخصيات الوطنية التي عاجلت بدورها مسألة الهوية لإبراز نقاط التلاقى والاختلاف في فهم مكونات الشخصية الجزائرية .

الفصل الرابع : بعنوان " مشروع الثورة الجزائرية في فكر مصطفى الأشرف" حيث تم تخصيص هذا الفصل للغوص في الأبعاد الفكرية والسياسية التي شكلت رؤية مصطفى الأشرف إتجاه مشروع الثورة الجزائرية، حيث توقفنا في البداية على سؤال جوهري حول طبيعة الثورة الجزائرية هل كانت مجرد حرب، لنتناول بعدها مفهوم الأمة كما تصورها الأشرف في إطار سعيه لبناء كيان وطني جامع، لنختتم بتحليل تصوره للإشترابية الجزائرية كخيار إستراتيجي في مرحلة ما بعد الإستقلال .

الخاتمة :

تضمنت عرضاً للنتائج التي تم التوصل إليها من خلال فصول الدراسة. القائمة البيبليوغرافية : تضم هذه القائمة جملة من المصادر والمراجع التي تم الإعتماد عليها في إنجاز هذه الدراسة والتي تخدم الموضوع من جوانبه المختلفة والتي سنقوم بضبطها بدقة في نهاية الدراسة وفقاً للمعايير الأكاديمية المعتمدة في التوثيق .

قائمة الملاحق : والتي خصصناها لعرض صور ذات صلة مباشرة بموضوع الدراسة بهدف تعزيزه والتي تم إدراجها بعد القائمة البيبليوغرافية .

الصعوبات المواجهة:

واجهتنا في هذه الدراسة جملة من الصعوبات والتي لا يكاد يخلو منها أي بحث علمي، كان لها تأثير نسبي على مسار إنجاز الدراسة يمكن إبرازها على النحو التالي:

تعذر تحميل عدد من الكتب إلكترونياً، إما بسبب عدم توفرها بصيغة رقمية، أو لكونها متاحة على مواقع تتطلب اشتراكات مدفوعة، وهو ما حد من إمكانية الإطلاع الكامل على بعض المراجع المهمة .

كما واجهتني أنا شخصيا " مفتاح أميرة " مشكلة صحية تتعلق بضعف البصر، وهو ما جعل مهام القراءة والكتابة أكثر مشقة بالنسبة لي خاصة أثناء إستعمال الهاتف للبحث والإطلاع على الكتب الرقمية، وأيضا خاصة أثناء الكتابة على الحاسوب، حيث تطلب الأمر تركيزا بصريا وجهدا مضاعفا لمتابعة التفاصيل بدقة .

الفصل الأول: مصطفى الأشرف: المثقف والكاتب

1- المولد والنشأة

2- المسيرة التعليمية

3- الإنتاج الفكري

1- المولد والنشأة

1-1- / المولد :

ولد الكاتب والمثقف وعام الاجتماع الجزائري مصطفى الأشرف في 7 مارس 1917م ببلدية سيدي عيسى التي تأسست عام 1870م وتتميز هذه البلدية بتنوعها السكاني حيث استقطبت عبر تاريخها سكانا من مناطق جزائرية مختلفة من بينها المسيلة، بوسعادة، القبائل، بالإضافة إلى أعداد قليلة من بسكرة ونقاوس، كانت بلدية سيدي عيسى خلال فترة ميلاد مصطفى الأشرف تابعة إداريا لدائرة الجزائر ضمن ولاية المدية قبل أن تدمج لاحقا ضمن ولاية المسيلة.¹

جاء ميلاد الكاتب والمثقف مصطفى الأشرف في ظروف إستثنائية زادت الحرب العالمية الأولى تعقيدا فقد ولد في معسكر متنقل خلال تلك الفترة العصيبة، مما جعل ولادته محاطة بالكثير من التساؤلات بين فراد قبيلته، هذه الملابسات دفعت البعض إلى الاعتقاد بأن ولادته في تلك الظروف لم تكن محض صدفة، بل ربما كانت إشارة إلى مستقبل غير مألوف لطفل قدر له أن يكون متميزا وإستثنائيا²

1-2- / البيئة الأسرية والإجتماعية :

1-2-1 / البيئة الأسرية

ينحدر مصطفى الأشرف من أسرة عريقة عرفت بتقديرها الكبير للعلم والثقافة ومكانتها الإجتماعية المتميزة مزجت بين التقاليد الإسلامية والانفتاح على الثقافة الحديثة وهو ما انعكس على تربيته لاحقا، ومن المثير للإهتمام في تكوين مصطفى الأشرف أنه نشأ في بيئة تجمع بين ثقافتَي الريف والمدينة حيث كان والده منحدرًا من أصول ريفية 'فحصي' وهو خريج المدرسة الثعالبية، ومدرسا في مدينة الجزائر كان يحمل رؤية إصلاحية إذ درس الفقه المالكي والمذاهب السنية الأخرى مما جعله متمكنا في العلوم الدينية، في المقابل كانت والدته تنتمي إلى مدينة الجزائر وبالتحديد من حي القصبة العريق وهي من طبقة إجتماعية متوسطة، هذا المزيج

¹ - محمد أرزقي فراد، إضاءات في تاريخ الجزائر معالم وأعلام، دار الامة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص227.

² - عبد الكريم بوصفصاف، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج2، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2021م، ص312.

الثقافي مكنه من استيعاب مختلف مكونات الهوية الجزائرية بعمق مما أثر لاحقا على تكوينه الفكري وتوجهه الوطني مع بلوغ سن الرشد .¹

تميزت عائلة مصطفى الأشرف بعدم التوسع الكبير في عدد أفرادها كما أنها لم تشهد تعددا للزوجات وهو ما يعكس نمودجا لعائلة مستقرة تقوم على روابط قوية بين أفرادها حيث لعب هذا الاستقرار الأسري دورا أساسيا في توفير بيئة ملائمة لنشأته وتعليمه حيث أولت العائلة إهتماما خاصا بتنشئة أبنائها وفق قيم العلم والمعرفة.²

1-2-2 البيئة الاجتماعية :

نشأ مصطفى الأشرف في بيئة إجتماعية معقدة ومشحونة تعج بالتحويلات السياسية والإجتماعية العميقة التي شهدتها الجزائر خلال فترة الإستعمار الفرنسي حيث كانت الجزائر آنذاك تعاني من سياسات التمييز والتمييز الممنهج على السكان الأصليين والإقصاء في مختلف مناحي الحياة بدءا من حرمانهم من التعليم الجيد وإنتهاك حقوقهم الأساسية إضافة إلى إنعدام الفرص في سوق العمل وهي السياسات التي فرضها الاستعمار الفرنسي بهدف الضغط الإقتصادي والإجتماعي على المجتمع الجزائري مما أدى إلى خلق بيئة تعاني من الفقر والحرمان وأنتج شعورا عاما بالقهر والإضطهاد لدى الجزائريين .³

أمام هذا القمع المتواصل بدأ الوعي الوطني بالتشكل تدريجيا حيث أدرك الجزائريون ضرورة النضال لاستعادة حقوقهم المسلوبة وفي ظل هذا المناخ المضطرب بدأت تتشكل حركات فكرية وثقافية تدعو إلى الإصلاح والتمسك بالهوية العربية الإسلامية والدفاع عنها، كما نشطت التيارات الوطنية التي كانت تسعى للإستقلال والتحرر من الإستعمار، وفي خضم تلك الفترة بدأت تتشكل طبقة جديدة من المثقفين والمفكرين الذين

¹ - سعد بن البشير لعامة ، مسيرة حياة رؤساء الجزائر وحكوماتها 1962-1998 والحكومات الجزائرية واعضاءها 1962-2012، دار هومة للنشر والتوزيع ،الوادي 2013م، ص180.

² - عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 312.

³ - محمد أرزقي فراد، المرجع السابق، ص228.

يسعون إلى تحليل الواقع ومحاولة تغييره بحيث كان مصطفى الأشرف جزءا من هذا السياق، حيث دفعته بيئته الاجتماعية وتأثره بواقع الظلم الذي عاشه شعبه إلى التفاعل مع القضايا السياسية والفكرية منذ صغره.¹ لم يكن مصطفى الأشرف مجرد مرتقب للأحداث، بل بدأ منذ سنواته الأولى في طرح الأسئلة والبحث عن إجابات حول قضايا العدالة الاجتماعية والهوية الوطنية ونخضة المجتمع وهي المواضيع التي ستشكل لاحقا جزءا أساسيا من مشروعه الفكري الإصلاحي.²

من خلال تتبع مسار نشأة مصطفى الأشرف نجد أنه تأثر ببيئته الأسرية والاجتماعية بعمق حيث شكلت له خلفية غنية مكنته من فهم التنوع الثقافي والاجتماعي للمجتمع الجزائري، فقد نشأ بين ثقافة الريف وثقافة المدينة وبين الإرث العائلي المرموق والتحديات التي واجهتها أسرته تحت الإستعمار فكل هذه العوامل ساهمت في بلورة شخصيته الفكرية والوطنية حيث أصبح مدركا لأهمية الجذور الثقافية والتاريخية وسعى إلى توظيف هذا الفهم في مسيرته لاحقا سواء في المجال الفكري أو السياسي ويمكن القول أن نشأته في هذه البيئة زودته بأسس متينة جعلته واحدا من الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر الحديث.

2-المسيرة التعليمية:

2-1/التعليم الابتدائي :

حفظ مصطفى الأشرف القرآن الكريم وهو في سن صغير في المدارس القرآنية على يد شيخان هذا ما مهد له طريق النجاح في شهادة التعليم الابتدائي³ وسار على خطى المطالعة حيث إطلع على مجموعة من الكتب التي كانت متوفرة في مكتبة أبيه مثل كتاب العبر لابن خلدون وكتاب لجبران خليل جبران وغيرها من الكتب القيمة وفي الواقع أن الإقتناع بالرجوع الى الأصل جعل هذا الشاب يتمسك بهذه الهواية ألا وهي حب المطالعة وحب المعرفة ورغم تواجده بقرية سيدي عيسى بمنطقة المسيلة ورغم بلوغه سن العاشرة إلا أنه شرع يطالع بكل حماس الكتب العربية وحتى الكلاسيكيات الفرنسية التي تتميز عن غيرها من الكتب

¹ - محمد أرزقي فراد، المرجع السابق، ص228.

² - المرجع نفسه، ص228.

³ - جيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية 1850-1950، تر: عمر المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص89.

حيث تابع الأشرف هذه الكتب لبت طموحه وتصنيف فكره وتحسنه وما أكد ذلك هو شهادة العلامة جاك بارك العامل بقرية كرمة ولاد بوزيان في سنوات الثلاثينيات "إبن قاضي سيدي عيسى مصطفى الأشرف يتابع دروسا قيمة إن تجربة هذا الشاب ساهمت كثيرا في القرارات التي إتخذها بعد ذلك".¹

2-2 التعليم الثانوي: بعد ما تخطى مرحلة التعليم الابتدائي بامتياز مر إلى مرحلة الثانوي التي دخلها عام 1930م في بن عكنون بالجزائر العاصمة ومن خلال تميزه بفن المطالعة وقراءته لشعر جعله من الأوائل في مجال الدراسات الأدبية ورغم أن أبيه لم يوفق إلى حد بعيد في توفير مستحقات ابنه المادية غادر الأشرف ثانوية بن عكنون والتحق بثانوية كطال خارجي في أكتوبر 1932م حيث قدم له صديق والده يد المساعدة وتكفل بكل المصاريف الخاصة من مأكل ومشرب وإقامة²

أما مستواه وميوله الأدبي دفعه لتسجيل في مدرسة الشبيبة "مدرسة خاصة يديرها الشاعر محمد العيد آل خليفة" وتكرر نفس الموقف الذي سابقا انجر لترك الثانوية والعودة إلى دياره بسيدي عيسى نتيجة لظروف تعرض لها هنا قام أبوه بإرشاده إلى سلك خطاه ونصحه أن يدرس في نفس مدرسته "المدرسة الثعالبية" التي تطورت 1940/ 1934م أما فيما يخص إلتحاقه بالتعليم الجامعي الذي رفع من مستواه وإستحقاقه لنيل شهادة الليسانس في الآداب في جامعة السوربون³.

¹ - جيلالي صاري: المرجع السابق، ص: 86-87.

² - حياة رحايلي: مصطفى الأشرف: موقفه من الإسلام وتصوره للإشتراكية في مشروع الثورة الجزائرية من خلال كتابه الجزائر الأمة والمجتمع، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 174، جانفي 2019م، ص: 280-281.

³ - عبد الكريم بوصفصاف: تصورات المجتمع الجزائري في كتابات مصطفى الأشرف، مجلة الحوار الفكري، 07 (2005)، ص 25.

3- الإنتاج الفكري

3_1 الصحافة المكتوبة:

بدأ مصطفى الأشرف رحلته الفكرية عبر الصحافة المكتوبة حيث نشر أولى مقالاته الأدبية والفكرية في الصحف الجزائرية الناطقة باللغة الفرنسية مثل :

- La dépêche algérienne

- Le quotidien d'Alger

L' action Algérienne هذه الجريدة تابعة لحزب الشعب الجزائري¹.

إنضم مصطفى الأشرف إلى صفوف حزب الشعب الجزائري عام 1939 م حيث تولى مهمة التوعية والترويج لأفكار الحزب وتميز بكتاباته السياسية والإقتصادية والتاريخية فنشر مقالاته في صحف الحزب المختلفة مثل " البرلمان الجزائري " وجريدة " النجم الجزائري " التي كانت تعبر عن توجهات فيدرالية حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بباريس².

عكست كتاباته في هذه الصحف إهتمامه العميق بالقضية الوطنية حيث كرس جهوده للتعريف بها للرأي العام ودعا إلى دعم جبهة التحرير الوطني بصفتها الممثل الشرعي لنضال الشعب الجزائري عام 1956م، كما ناقش أوضاع الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي وسلط الضوء على تطلعات الجزائريين نحو الإستقلال³.

3-2 / البحوث والدراسات الاجتماعية :

بدأ مصطفى الأشرف يشارك ببحوثه الاجتماعية قبل اندلاع الثورة الجزائرية فقد نشر مقاليتين على الأقل سنة 1945 م في مجلة "المباحث التونسية"، كما ساهم أيضا خلال الثورة الجزائرية بنشر بحوث رصينة في مجلة "الأزمة الحديثة Les temps modernes " التي أشرف عليها المفكر الفرنسي جان بول سارتر ومن

¹ - زكية عرعار، الخطاب النقدي ما بعد الكولونيالي عند مصطفى الأشرف، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد الأدبي والدراسات الثقافية ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2017-2018، ص 139.

² - عبد الكريم بوصفصاف، تصورات المجتمع الجزائري في كتابات مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 25.

³ - نفسه، ص 25.

بين أهم أبحاثه والتي نشرت في نفس المجلة (مجلة الأزمنة الحديثة)، الأول تحت عنوان "الوطنية والأرض في الجزائر" الذي تم نشره في أكتوبر 1955، والثاني "الوطنية في الثورة الجزائرية" والذي نشر في نوفمبر 1959 حيث تناول فيه مفهوم البطولة خلال الثورة الجزائرية وركز على توضيحات الشعب الجزائري وشجاعته في مواجهة الإستعمار الفرنسي مستعرضا أمثلة من بطولات المجاهدين مؤكدا ان هذه البطولات لم تكن مجرد أعمال فردية بل كانت جزءا من نضال جماعي لتحقيق الإستقلال واسترجاع الكرامة وله بحث آخر نشره في مجلة الأزمنة الحديثة في سبتمبر 1956م نقل فيه عن كتاب المرأة لحمدان خوجة وكشف فيه الأشرف عن رأي حمدان خوجة عن النفاق والإزدواجية في المواقف الفرنسية، وفي هذه المجلة بالتحديد نشر في عام 1963م مقالة عن مستقبل الثقافة الجزائرية، حيث شبه عملية تطوير ثقافة جديدة في الظروف الصعبة بالعملية الإكلينيكية "عملية جراحية دقيقة" التي ينبغي أن تنفذ دون تردد وبحزم وبإتقان محكم مع اتخاذ تدابير جذرية لا تترك مجالا لأي تمجيد عاطفي للماضي.¹

إلى جانب ذلك نشر مصطفى الأشرف عددا من المقالات المهمة تم ترجمتها من قبل عبد الله شريط ونشرت في مجلة الفكر التونسية التي كان مؤسسها المفكر والسياسي التونسي محمد مزالي وهذه المقالات المنشورة تعكس مدى إنتشار أفكاره في العالم العربي ونقدم نماذج عن هذه المقالات المنشورة مقال ورد في العدد الرابع من المجلة المذكورة بتاريخ 1 جانفي 1960م بعنوان: "البطولة العربية وعوامل نشأتها بين الواقع والمثالية"، ناقش فيه هذا الرجل المثقف مفهوم البطولة في السياق العربي مستعرضا العوامل التي ساهمت في نشأتها وتطورها مبرز الفجوة بين تصورات المثالية للبطولة والواقع العملي مسلطا الضوء على كيفية تأثير هذه المفاهيم في تشكيل الهوية والثقافة العربية.²

نشر المقال الثاني سنة 1963 في نفس المجلة السابقة "الفكر التونسية" تحت عنوان: الكفاح السياسي والثقافي تناول فيه الترابط الوثيق بين النضال السياسي والدور الحيوي للثقافة في تشكيل الوعي الوطني مبرز كيف يسهم الإنتاج الثقافي في دعم الحركات التحررية والدور الذي تلعبه الثقافة في صون الهوية الوطنية

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1954-1962، ج10، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص: 136-137.

² - مصطفى الأشرف، البطولة العربية وعوامل نشأتها بين الواقع والمثالية، مجلة الفكر التونسية، 04 (1960)، ص: 1-5.

والتصدي لمحاولات الطمس الاستعماري، كما ناقش بعمق إسهام المثقفين في توجيه الرأي العام وتعبئة الجماهير من أجل تحقيق الاستقلال.¹

كما نشر مصطفى الأشرف مقالا آخر في "مجلة الأصالة" مقسما الى ثلاثة أجزاء بعنوان: "الجزائر في تاريخ الحضارة" حيث أشار في الجزء الأول الى مكانة الجزائر في التاريخ الإنساني موضحا إسهاماتها التاريخية وتأثير موقعها الجغرافي في جعلها نقطة تلاقي بين الثقافات المختلفة، بينما ناقش في الجزء الثاني التفاعلات الثقافية بين الجزائر والحضارات المجاورة مبينا كيف أثرت هذه التبادلات في تشكيل الهوية الجزائرية وتعزيز الوعي الوطني في حين ركز في الجزء الثالث والأخير على تأثير الجزائر في مختلف الحضارات من الحضارة الرومانية واليونانية إلى الإسلامية موضحا التحديات والصراعات التي واجهتها ودورها في التطورات الثقافية والدينية والتجارية.²

3_3 / الإنتاج الأدبي والشعري:

أولى إصدارات الأشرف الأدبية كانت في مجال الشعر حيث نشر عام 1947م مجموعة شعرية بعنوان "petits poèmes sur l'Algérie" قصائد صغيرة عن الجزائر" تلاها عام 1953م كتاب أغاني الفتيات العربيات Chansons de filles arabes وهو كتاب جمع فيه أغاني مستوحاة من التراث الشعبي الجزائري وفي عام 1954 أصدر كتاب ب عنوان صداقة الرجال، وهو عمل أدبي يعكس تأملات الكاتب حول القيم الإنسانية خاصة الصداقة في سياق الهوية الجزائرية في ظل الإستعمار الفرنسي.³

كان للأشرف إهتمام كبير بالفكر الفلسفي والمسرحي حيث تأثر بمسرحية الباب الأخير للفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر والتي تتناول قضايا الهوية والعدالة في سياق إستعماري، والتي نشرت ترجمتها

¹ - مصطفى الأشرف، الكفاح السياسي والثقافي، مجلة الفكر، 04 (1936)، ص: 1-5.

² - مصطفى الأشرف، الجزائر في تاريخ الحضارة، تر: حنفي بن عيسى، مجلة الاصلالة، 02 (1971)، ص: 1-9.

³ - وفاء برتومة، ملامح الحضور الفلسفي في الفكر الجزائري، جدل التأصيل لخصوصية الإبداع ونقد حدود الإقتباس عن الآخر، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، 2023، ص235.

العربية في مجلة الفكر التونسية عام 1955م لكن لم يعرف على وجه الدقة متى نشرت ترجمتها في المجلات العربية الأخرى، لكنها تعكس إهتمام الأشرف بالفكر الفرنسي النقدي للإستعمار.¹

3-4 الكتب الفكرية والإجتماعية:

-الإستعمار والإقطاع في الجزائر 1954 Colonialisme et féodalités en Algérie كان هذا الكتاب أول مؤلفاته في الفكر الاجتماعي حيث حاول فيه تقديم تحليل شامل للعناصر الإجتماعية في الجزائر خلال الحقبة الإستعمارية موضحا طبيعة العلاقة بين الإستعمار والطبقات المحلية خاصة الإقطاعيين الذين تحالفوا مع الفرنسيين للحفاظ على إمتيازاتهم²

- الجزائر: الأمة والمجتمع 1965م: يعتبر هذا الكتاب من أهم أعمال مصطفى الأشرف في علم الاجتماع التاريخي تم تصنيفه عام 1973 م من قبل السلطات الفرنسية ضمن القائمة السوداء للكتب المحظورة تم نشره في فرنسا عام 1965 م تحت عنوان Algérie: Nation et société عند دار النشر الفرنسية، فرانسوا ماسبيرو François Maspero أعيد نشره في الجزائر عام 1988م قبل أن يترجم الى العربية عام 2007 م من قبل الدكتور حنفي بن عيسى يتألف الكتاب في نسخته العربية من 468 صفحة ويضم بين دفتيه 11 فصلا، عالج من خلالها قضايا جوهرية مرتبطة بالتاريخ الوطني الجزائري من منظور تحليلي نقدي كان إصدارها في ذلك الوقت دليلا على شجاعة سياسية لافتة وهي موزعة على النحو التالي:

- الفصل الأول: بين الإستعمار والإقطاعية .

الفصل الثاني: الوطنية في البوادي والأرياف .

الفصل الثالث: الجوانب النفسية في الغزو الإستعماري .

الفصل الرابع: مسيرة الجزائر نحو الحرية.

¹ - أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق، ص 136.

² - وفاء برتيمة ،المرجع السابق ، ص 235.

الفصل الخامس: مسيرة القومية التحررية إلى الوحدة.

الفصل السادس: الإلتجاه الثوري في المدن منذ 1830 م وتنظيم المقاومة والكفاح.

الفصل السابع: الخط الثابت في سلوك الإستعمار سياسيا وعسكريا.

الفصل الثامن: الجوانب المجهولة في الثورة الجزائرية.

الفصل التاسع: الجزائر المستقلة من النكسة إلى الوحدة.

الفصل العاشر: وقائع وأفاق ثورية.¹

الفصل الحادي عشر: نظرات إجتماعية حول الحركة القومية وحول الثقافة في الجزائر.²

يستعرض مصطفى الأشرف من خلال هذا العمل حجم الدمار والخراب الذي خلفه الإستعمار الفرنسي على الجزائر طيلة 132 عاما من الاحتلال، مشيرا إلى سياسات الإبادة والإستغلال والتجهيل والإفقار التي إنتهجتها السلطات الإستعمارية، كما يبرز الكتاب كيف عانى الشعب الجزائري من التجويع والإحتقار والإستبعاد حيث كان الإستعمار قائما على نهب الموارد على حساب الجزائريين.³

- الجزائر والعالم الثالث، إعتداءات ومقاومات وتضامن دولي 1982 Algérie et tiers monde:

تناول الأشرف في هذا الكتاب موقع الجزائر ضمن السياق الدولي محلا تفاعلها مع الأوضاع العالمية والرهانات الجيوسياسية، حيث يعكس هذا العمل إهتمامه بدراسة موقع الجزائر كفاعل في السياسة الدولية وعلاقتها بالحركات التحررية في العالم الثالث.

- أعلام ومعالم: مآثر عن جزائر منسية 1998 م Des nomes et des lieux، mémoires d'une

:Algérie oubliée

¹ - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص: 462-467.

² - المصدر نفسه، ص: 462-467.

³ - نصيرة بلامين، قراءة في كتاب الجزائر: الأمة والمجتمع لمصطفى الأشرف، مجلة فوكس، 2021، متاح على الرابط: <https://fecuse.com/magazine>، أطلع عليه يوم: 16 فيفري 2025، الساعة: 11:23.

فكر مصطفى الأشرف في التأريخ لحياته الحافلة بالأحداث والتجارب الإنسانية لذا قرر كتابة سيرته الذاتية في هذا الكتاب بأسلوب فريد على خلاف الطرق المعتمدة في هذا النوع من الكتب حيث مزج بين تاريخ حياته وتاريخ الجزائر مبتعدا عن السرد الروائي التقليدي معتمدا على أسلوب السرد التاريخي، أصدر الكتاب باللغة الفرنسية تحت عنوان 'Des noms et lieux, mémoires d'une Algérie oubliée' عند دار القصبة للنشر وقد نال الكتاب شهرة كبيرة ونشرت ترجمته العربية بعنوان أعلام ومعالم مآثر عن جزائر منسية¹.

القطيعة والنسيان Éloignement et l'oubli 2005 "كان آخر أعماله الفكرية حيث صدر قبل عامين من وفاته قدم فيه دراسة تحليلية للإيديولوجيات الرجعية في الجزائر التي برزت خلال العشرية السوداء في الجزائر مسلطا الضوء على العنف السياسي وتصاعد التيارات الفكرية المتطرفة في تلك الفترة، لكن هذا الكتاب لم يكن مجرد تحليل أكاديمي بقدر ما كان إنعكاسا لتجربة شخصية عميقة عاشها الأشرف، فخلال إحدى المراحل الصعبة من حياته تلقت زوجته خبرا صادما عن وفاته في حين أنه لا يزال على قيد الحياة حيث لم يكن هذا الخبر مجرد إلتباس عابر بالنسبة للأشرف بل شكل له صدمة رمزية كشفت عن هشاشة الذاكرة الجماعية وعن سهولة سقوط الإنسان في دوامة النسيان حتى وهو على قيد الحياة، هذه التجربة جعلته يتأمل في معاني القطيعة ليس فقط على المستوى السياسي والفكري بل على المستوى الوجودي أيضا، فجاء كتاب القطيعة والنسيان كصرخة أخيرة ضد النسيان، وكمحاولة لاستعادة الذاكرة أمام التهميش المتعمد مسجلا فيه شهادته عن واقع جزائري مضطرب حيث قد يمحي الإنسان من الوجود قبل أن يرحل جسديا.

2

¹ - مصطفى الأشرف، أعلام ومعالم مآثر عن جزائر منسية، تر: أحمد بن محمد بكلي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 474.

² - أمين الزاوي، أقص عليكم حكايتين: حكاية عن جميلة بوحيرد والأخرى عن مصطفى الأشرف، ورقة بحثية منشورة في جريدة الشروق اليومي، تاريخ: 2009/12/16.

خلاصة الفصل الأول:

من خلال ما تم عرضه ومناقشته في هذا الفصل تم إستخلاص النتائج التالية:

- ولد مصطفى الأشرف سنة 1917 في كنف أسرة ذات خلفية ثقافية وتعليمية قوية، حيث لعبت العائلة دورا أساسيا في توفير بيئة فكرية خصبة ساعدت على تكوين شخصيته فيما بعد، حيث كانت أسرته من العائلات التي تهتم بالعلم والمعرفة وتسعى إلى تربية أبنائها على القيم الفكرية والوطنية، علاوة على ذلك لم تكن أسرته منعزلة عن التفاعلات السياسية والاجتماعية الجارية آنذاك، بل كانت على تماس مباشر مع الحراك الثقافي والفكري لذلك كان من الطبيعي أن يتأثر الأشرف بهذا المناخ، مما ساعده في بلورة أفكاره وإتجاهاته الفكرية في المستقبل .
- يعد مصطفى الأشرف أحد أبرز المفكرين الجزائريين الذين أثروا المشهد الفكري بإسهامات غزيرة شملت كل من " الصحافة المكتوبة، المقالات البحثية، الكتب والمسرح وغيرها... حيث كان هذا الإنتاج الفكري الغزير يعكس تنوع إهتماماته، إذ تناول قضايا مجتمعية وتاريخية وثقافية بعمق وبأسلوب نقدي بناء مما جعله أحد المفكرين البارزين في الساحة الفكرية الجزائرية.

الفصل الثاني: نضاله السياسي في الفترة

الاستعمارية ومرحلة ما بعد الاستقلال

1- نضاله في الحركة الوطنية

2- إضمامه للثورة التحريرية

3- حادثة اختطاف الطائرة

4- أهم المناصب التي تقلدها بعد الاستقلال

عرفت الجزائر خلال الحقبة الإستعمارية واحدة من أعقد المراحل التاريخية التي مرت بها حيث واجه شعبها إستعمارا إستيطانيا إستهدف الأرض والهوية على حد سواء، وفي خضم هذه الأوضاع القائمة إنبعثت من رحم المعاناة حركة نضالية أصيلة حمل لواءها رجال نذروا حياتهم لفكرة التحرر ووهبوا وجودهم لخدمة الوطن مجسدين بذلك ملحمة تاريخية في سبيل إفتكاك الحرية من قبضة الإستعمار الفرنسي، ومن بين هذه الشخصيات الوطنية التي خطت إسمها بأحرف من نور في سجل النضال الوطني يبرز إسم مصطفى الأشرف كأحد الفاعلين البارزين الذين تركوا بصمة واضحة في مختلف محطات الكفاح الجزائري . لقد تميزت مسيرة مصطفى الأشرف بكونها مرآة تعكس تنوع أشكال المقاومة بين العمل السياسي داخل الحركة الوطنية والعمل الثوري في زمن المواجهة المفتوحة مع المستعمر ثم لاحقا المساهمة الفعالة في مسار بناء الدولة المستقلة، فهو يمثل نموذجا للرجل الذي لم يتوقف عند حدود مقاومة الإستعمار بل إستمر في أداء رسالته بعد الإستقلال حاملا على عاتقه هم تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة وسط تحديات جسامة كانت تتطلب حنكة سياسية وحسا وطنيا عاليا حيث تبرز أهمية دراسة شخصية مصطفى الأشرف في كونها تعكس بوضوح العلاقة الجدلية بين الكفاح التحرري من جهة والتجربة السياسية والإدارية في الجزائر المستقلة من جهة أخرى ما يجعل منه شخصية محورية تساعدنا على فهم المسار التاريخي الذي عبرته الجزائر من زمن المقاومة إلى زمن الدولة، وهذا ما نسعى إلى التطرق إليه في هذا الفصل عبر الغوص في ملامح هذه الشخصية ومسارها الحافل بالعطاء سواء خلال مرحلة الكفاح الوطني او في مرحلة ما بعد الإستقلال.

1 _ نضاله في الحركة الوطنية:

يعد مصطفى الأشرف واحدا من أبرز الشخصيات الفكرية والسياسية الجزائرية التي كرسَتْ جهودها لخدمة القضية الوطنية خلال النصف الأول من القرن 20 حيث تميز بنشاطه السياسي والفكري الذي اقترن بمسار الكفاح التحرري ضد الإستعمار الفرنسي حيث كان من بين المثقفين الجزائريين الذين آمنوا وأدركوا أن النضال ضد الإستعمار يتطلب تعبئة فكرية وسياسية واسعة تربط بين الوعي القومي والعمل الميداني وفي هذا الإطار جاءت بداية انخراطه الفعلي في العمل السياسي وذلك من خلال التحاقه بحزب الشعب الجزائري سنة 1939 وهو ما شكل نقطة انطلاق لمسيرته النضالية .

إنخرط مصطفى الأشرف في النشاط السياسي عام 1939 حيث أصبح عضوا فاعلا في حزب الشعب الجزائري¹ وهو الحزب الذي كان يعد من أبرز التشكيلات السياسية المنادية باستقلال الجزائر عن الإستعمار الفرنسي، ومنذ التحاقه بالحزب اضطلع بمسؤوليات جوهرية كان من أبرزها مهام الإشهار والدعاية للحزب والتوعية الجماهيرية حيث سعى بشكل حثيث إلى تعبئة الرأي العام الجماهيري وتوعيته بالقضية الوطنية عبر إستخدام مختلف الوسائل الإعلامية والسياسية المتاحة آنذاك.²

ولم يقتصر نشاطه على العمل التنظيمي والسياسي فحسب بل كان قلمه ولسانه سلاحين مؤثرين في نشر الأفكار التحررية التي تبناها الحزب فقد سخر جهوده للكتابة الصحفية حيث نشر مقالات سياسية وإقتصادية وتاريخية أتمت بعمق التحليل ودقة الطرح في الصحف التابعة للحزب³ ومن المنابر الإعلامية التي شهدت نشاطه البارز " صحيفة البرلمان الجزائري " التي كانت تعكس تطلعات الحزب وتوجهاته الفكرية، إلى جانب " جريدة النجم الجزائري " التي كانت تعد الناطق الرسمي باسم فيدرالية حركة إنتصار الحريات الديمقراطية بباريس⁴ و "جريدة الحركة الوطنية ما بين 1943-1944، وعندما أعيد إحياء الحزب تحت إسم حركة إنتصار الحريات الديمقراطية عام 1946 كان قد إكتسب من الخبرة السياسية والمعرفة ما مكنه من شغل

¹ - حياة رحايلي، المرجع السابق، ص 281.

² - المرجع نفسه، ص 281.

³ - عبد الكريم بوصفصاف، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج02، المرجع السابق، ص 313 .

⁴ - المرجع نفسه، ص 313 .

منصب كاتب المجموعة البرلمانية داخل الحزب وهو الدور الذي أتاح له فرصة أوسع للمساهمة في رسم الخطوط العريضة لنشاط الحزب السياسي وتنظيم عمله داخل الأطر البرلمانية، ومع تنامي نضجه السياسي وزيادة وعيه بالقضية الوطنية لم يقتصر نشاطه على العمل السياسي داخل الوطن بل انتقل إلى فرنسا حيث واصل نضاله هناك مستغلا وجود الجالية الجزائرية لنشر أفكار الحزب والتعريف بمطالبه وقد كان لهذا النشاط أثر كبير في توسيع دائرة التأييد للحركة الوطنية الجزائرية في الخارج خاصة في الأوساط الطلابية والعمالية التي كانت تضم عددا كبيرا من الجزائريين الطامحين إلى التحرر ونيل الإستقلال.¹

عندما اندلعت الأزمة الحادة التي أدت إلى حدوث إنقسام عميق داخل حزب حركة إنتصار الحريات الديمقراطية وتفاقت الخلافات بين جناحيه المعروفين بالمصاليين والمركزيين تبني مصطفى الأشرف في البداية موقفا حياديا إذ لم ينحز إلى أي من الطرفين مفضلا التريث والتأمل في تطور الأحداث ومع تصاعد النزاع الداخلي واستمرار حالة التشرذم وجد مصطفى الأشرف نفسه مدفوعا لاتخاذ قرار مصيري في مساره النضالي² وبعد فترة من الترقب قرر الانضمام إلى جبهة التحرير الوطني التي كانت قد برزت كقوة سياسية حاسمة النضال من أجل الإستقلال، وإدراكا من قيادة الجبهة لأهمية الدور التوعوي والإعلامي في كسب التأييد الشعبي وتعزيز الالتفاف حول الثورة أوكلت إلى مصطفى الأشرف مهمة رئيسية تمثلت في الإشهار والتوعية فكتب عدة مقالات للتعريف بالقضية الوطنية ودعوة مختلف التيارات والأحزاب الأخرى للانضمام إليها باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري.³

¹ - محمد أرزقي فراد، المرجع السابق، ص 228 .

² - سلاف نعيمة، النخبة المثقفة والسلطة في الجزائر - مصطفى الأشرف نموذجا- ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة وهران، كلية الحقوق، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2012-2013م، ص : 171-172 .

³ - المرجع نفسه، ص 172.

2_ انضمامه للثورة التحريرية:

مع اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954م كانت الجزائر على موعد مع صفحة جديدة من تاريخها، صفحة كتبها رجال ونساء آمنوا بأن الحرية لا توهب بل تنتزع إنتزاعا من مستعمر جثم على صدور الجزائريين لأكثر من قرن، من بين أولئك الرجال يبرز إسم مصطفى الأشرف كواحد من المثقفين الوطنيين الذين اختاروا الإنخراط في مسار الثورة لا بالبندقية وحدها وإنما بالقلم والفكر والكلمة سلاحه الأول في معركة الوعي والتحرر.

لم يكن إنضمام مصطفى الأشرف إلى الثورة قرارا عابرا بل جاء تتويجا لمسار وطني طويل بدأ منذ أن شب عن الطوق ووعى حجم الظلم والاستغلال الذي تعرض له الشعب الجزائري، تلقى تكويننا عاليا في فرنسا ما منحه أدوات معرفية مكنته من فهم طبيعة الإستعمار وأساليبه الإيديولوجية والثقافية الأمر الذي أهله للعب دور بالغ الأهمية في الجانب الإعلامي والدعائي للثورة، فمنذ الأيام الأولى لانطلاق الثورة أوكلت إليه مهام التنسيق الإعلامي والاتصال، حيث عمل على نقل صورة واضحة وحقيقية لما يجري في الجزائر إلى الخارج خاصة إلى المثقفين الفرنسيين والرأي العام الدولي عبر الوسائل الإعلامية والصحفية¹ كتب خلال هذه الفترة مقالات ودراسات تحليلية عميقة بلغة رفيعة ومنهج علمي ونشرها في مجلات فكرية مرموقة مثل الأزمنة الحديثة التي أسسها الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر والحضور الإفريقي التي كانت منابر للنقاش حول قضايا التحرر في إفريقيا ما جعله صوتا مثقفا للثورة يعبر عنها بلغة الآخر ويواجه بمنطقه².

تميزت كتاباته بالعمق والجرأة حيث تناول فيها تطور المجتمع الجزائري وواقع الحياة تحت الإستعمار وحلل بنية الهيمنة الإستعمارية وساهم في بناء خطاب ثوري يتجاوز من المثقفين الفرنسيين الذين تعاطفوا مع القضية الجزائرية بل وانخرط بعضهم في دعمها بفضل الجهود الفكرية لمثقفين جزائريين أمثال مصطفى الأشرف³.

¹ - وفاء برتيمة، المرجع السابق، ص 234.

² - المرجع نفسه، ص 237.

³ - المرجع نفسه، ص 237.

ومع إزدياد زخم الثورة وارتفاع صدى صوتها في المحافل الدولية ازدادت معها أيضا وتيرة المتابعة الفرنسية لنشاطات قادتها في الخارج وهو ما جعل من مصطفى الأشرف ومعاونيه هدفا دائما للمخابرات الفرنسية وقد تجلّى ذلك في حادثة إخطاف الطائرة الشهيرة يوم 26 أكتوبر 1956م حين كان مصطفى الأشرف برفقة قادة الثورة التاريخيين وهم أحمد بن بلة ومحمد بوضياف وحسين آيت أحمد، ورغم هذا الحدث بقي إسم مصطفى الأشرف مرتبطا بالنضال الفكري والإعلامي للثورة وظل من بين الأصوات القوية التي ساهمت في توعية الرأي العام الدولي بعدالة القضية الجزائرية

3-حادثة إختطاف الطائرة:

بمبادرة مشتركة من جلالة الملك محمد الخامس والرئيس الحبيب بورقيبة تم التوافق على عقد مؤتمر إقليمي يهدف إلى مناقشة آفاق إحلال السلام في منطقة المغرب العربي وخلق فرصة حقيقية أمام فرنسا لإنهاء حالة الحرب التي كانت سائدة آنذاك وقد سعى الطرفان المغربي والتونسي إلى تجميع النقاط المشتركة مع قادة الثورة الجزائرية بغية التوصل إلى موقف موحد يدفع بالحل السلمي إلى الأمام، تم الاتفاق مبدئيا على أن يعقد المؤتمر في الثاني العشرين من شهر أكتوبر¹، على أن تحتضنه العاصمة التونسية بحضور كل من الملك المغربي، محمد الخامس، و الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة إلى جانب القيادات التاريخية لجبهة التحرير الوطني الجزائري وهم أحمد بن بلة، محمد بوضياف، حسين آيت أحمد، أحمد خيضر، مصطفى الأشرف، وكان من المقرر حسب ما تم الإتفاق عليه في البداية أن يسافر بن بلة ورفقائه على متن الطائرة الخاصة لجلالة الملك محمد الخامس غير أن تطور مفاجئا طرأ قبيل موعد الإنطلاق أدى إلى تعديل هذا الترتيب حيث صعدو على متن طائرة أخرى غير تلك التي كان من المفترض أن تقلهم وقد تبين لاحقا أن على متنها مسافرين آخرين².

¹ - إبراهيم طالس، السياسة الفرنسية في الجزائر إنعكاساتها على الثورة 1956، 1958، دار الهدى لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2013م، ص 252.

² - مصطفى طلاس، الثورة الجزائرية، دار الرائد للكتاب، 2010، ص 325.

وعلى حسب ذلك أن الملك المغربي على دراية أن السلطات الفرنسية بنية السلطات الفرنسية التي خططت بمهاجمة وخطف الطائرة التي يصعد على متنها القادة الخمس وللحفاظ على سلامة الملك سافر مع حاشيته إلى تونس وأيضا لا يمكن إستبعاد تحركات الملك الخفية الذي تعاون مع الفرنسيين الموجودين في المغرب ضد الجزائريين وأيضا مستشاره الفرنسي ويعتبر صديقه وموضع ثقته¹

و حسب شهادة أحمد بن بلة أنه تم تغيير طائرهم على الفور، إنتقلوا بعد ذلك إلى طائرة جديدة حيث لاحظنا وجود عدد من الصحفيين الفرنسيين الذين كانوا يراقبون مسار الرحلة بدقة ويواكبون تفاصيلها لحظة بلحظة² وقد تبين لاحقا أن السلطات الجزائرية كانت قد أخطرت بتفاصيل هذه الرحلة قبل يوم واحد فقط من مغادرة الوفد الجزائري للعاصمة المغربية الرباط وجاء هذا الإخطار عبر مصالح الأمن الجوي بالرباط التي أبلغت بدورها الجهات الجزائرية المختصة وعلى رأسها الجنرال فراندون frandon قائد الناحية الجوية الخامسة المتمركزة بالجزائر العاصمة في سياق هذا لعبت حادثة إختطاف الطائرة التي كانت تقل قادة جبهة التحرير الوطني دورا بالغ الأهمية في كشف ممارسات الإدارة الإستعمارية الفرنسية ووفقا لما تبينه الوثائق والشهادات فقد قام أحد المسؤولين بإبلاغ الجنرال لوريلوت القائد الأعلى للقوات الجوية بالجزائر الذي بادر بالتنسيق مع بيار شوساد الأمين العام لدى الوزير المقيم بإتخاذ القرار القاضي بإعتراض الطائرة.³

يشار إلى أن هذا القرار قد تم في ضل غياب الوزير المقيم روبير لأكوست الذي كان متواجدا آنذاك في فرنسا ومع ذلك فقد إتخذ خطوة بعد الحصول على موافقة العقيد ديكورنو المسؤول عن المكتب العسكري للوزير المقيم وكذلك ماكس لوجان كاتب الدولة للقوات المسلحة المكلف بالشؤون الجزائرية الذي منح الأمر النهائي دون تردد مشددا على ضرورة إعتراض الطائرة دون اللجوء إلى إستعمال القوة وبناء على ذلك تم إرسال طائرتين عسكريتين إنطلقتا من قاعدتي وهران والبليدة وتمكنت من إجبار الطائرة المدنية التي كانت تقل الوفد الجزائري على الهبوط في مطار الدار البيضاء الجزائري وقد وصف القائد الثوري أحمد بن بلة العملية

¹ - بلرووات بن عتو، وقائع وكواليس إختطاف طائرة زعماء الثورة الجزائرية في 22 أكتوبر 1956، مجلة العصور الجديدة، 09(2013م)، ص 163.

² - إبراهيم طلاس، المرجع السابق، ص 253.

³ - المرجع نفسه، ص 254.

لاحقا بأنها "مدبرة" لاسيما وأن طاقم الطائرة كان فرنسيا ما يعزز فرضية التواطئ المسبق كما عبر من خلال شهادته حول عملية إختطاف عن شعور عميق بالغدر والخيانة وعلى الرغم من أن هذا قرار قد اتخذ في غياب لأكوست إلا أن هذا الأخير فور عودته لم يكتف بإبداء موافقته بل ذهب إلى حد وصف العملية بأنها "عمل رائع" أما ماكس لوجان الذي إتخذ القرار دون الرجوع إلى القيادة السياسية العليا فقد تم إستدعائه لاحقا من طرف الرئيس الجمهورية روني كوتي لا لتوبيخه كما قد يتوقع بل لتقديم التهاني له على النجاح في إلقاء القبض على القادة التاريخيين للثورة التحريرية.¹

4_ أهم المناصب التي تقلدها مصطفى الأشرف بعد الإستقلال :

إن مسيرة مصطفى الأشرف لم تنحصر في فترة الكفاح المسلح ضد الإستعمار الفرنسي بل إمتدت إلى مرحلة ما بعد الإستقلال فقد كان من بين أولئك الذين لم يغادروا ميدان النضال بمجرد تحقيق الحرية بل أدركوا أن بناء الدولة الوطنية لا يقل حسامة عن معركة التحرير ذاتها فبعد استرجاع السيادة الوطنية وتحقيق الإستقلال برز مصطفى الأشرف كإطار فاعل في مؤسسات الدولة يتنقل بين مسؤوليات سياسية ودبلوماسية بالغة الأهمية ما يعكس الثقة التي وضعت فيه والكفاءة التي أبان عنها في مختلف المهام التي أوكلت إليه .

بعد إستعادة الجزائر لسيادتها الوطنية وتحقيق الإستقلال واصل مصطفى الأشرف أداء رسالته في خدمة بلده من خلال توليه عددا من المناصب السياسية والدبلوماسية المهمة وفق تسلسل زمني يبرز حجم الأدوار التي إضطلع بها، فقد بدأ مساره بعد الإستقلال بتعيينه سنة 1962 م كمدير لجريدة المجاهد التي كانت آنذاك صوت الثورة الرسمي في مرحلة البناء والتأسيس.² وهو نفس العام الذي تقلد فيه عضوية المجلس الإستشاري، إحدى المؤسسات التي سعت لتأطير الحياة السياسية الجزائرية الوليدة .

عين مصطفى الأشرف سنة 1965 م سفيراً للجزائر في الأرجنتين قبل أن ينتقل لتمثيل بلاده في البيرو وهو ما يعكس مكانته كدبلوماسي قادر على تمثيل الجزائر في محافل دولية مختلفة في فترة كانت الجزائر تسعى فيها

¹ - ،فاروق جياب، الحبيب بورقيبة ودوره في تدويل القضية الجزائرية، أعمال الملتقى الوطني حول دبلوماسية الثورة الجزائرية وإشكالية تدويل القضية الجزائرية بين التحالفات الإقليمية والإستراتيجية الدولية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية العلوم يوم 31.30 أكتوبر 2018م، ص 114 .

² - حياة رحايلي، المرجع السابق، 282.

لإثبات حضورها على الساحة العالمية.¹ وبعد عودته إلى أرض الوطن أسندت إليه سنة 1977م مهمة قيادة وزارة التربية والتعليم الابتدائي والثانوي في إطار مشروع وطني يهدف إلى إصلاح المنظومة التربوية الجزائرية في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين وهو منصب ظل يشغله إلى غاية عام 1976م.²

عين مباشرة بعد ذلك سفيرا للجزائر في المكسيك، ثم إنتقل بعد أربع سنوات وتحديدًا سنة 1982 م ليشغل منصب ممثل الجزائر الدائم لدى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة " اليونسكو" إلى غاية سنة 1986م وهو العام الذي أحيل فيه على التقاعد من هذا المنصب الرفيع³ غير أن حضوره في المشهد السياسي لم ينقطع إذ عاد سنة 1992 م ليتقلد منصب عضو في المجلس الوطني الإنتقالي الذي شكل في ظرف سياسي حساس تحت إشراف الرئيس الراحل محمد بوضياف ليكون بذلك شاهدا وفاعلا في مرحلة مفصلية من تاريخ الجزائر المعاصر ورغم تنقله بين مختلف المناصب السياسية والمهام الدبلوماسية إلا أن مصطفى الأشرف ظل في نظر الكثيرين نموذجا للمثقف الملتزم كما وصفه الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف بقوله : " ظل المثقف المسيس الذي كرس قلمه السيل لخدمة القضايا الوطنية السياسية والثقافية على حد سواء "⁴.

وفي تقديرنا فإن مسيرة مصطفى الأشرف في مرحلة ما بعد الإستقلال تجسد مثالا حيا لرجل الدولة الذي ظل وفيا للمبادئ التي ناضل من أجلها خلال فترة الإستعمار حيث لم يكن يكتف بأداء دور في معركة التحرير بل واصل العمل بنفس الإلتزام والمسؤولية في مرحلة بناء الدولة الجزائرية حيث تنقل بين المناصب السياسية والدبلوماسية بكفاءة وحنكة جامعا بين الفكر والممارسة وبين النضال الثوري والعمل المؤسسي وهو ما يجعله أحد رموز الجزائر المستقلة ومن ساهموا في صياغة معالم المشروع الوطني في ظروف معقدة وتحديات جسيمة ففضل تنوع المسؤوليات التي تقلدها برز كشخصية محورية في مسار الإنتقال من زمن الثورة إلى زمن الدولة مجسدا بذلك ملامح المرحلة الإنتقالية التي مرت بها الجزائر حيث كان لإلتزامه السياسي والثقافي أثر بالغ في مسيرة بناء الدولة الوطنية بعد الإستقلال .

1 - سلاف نعيمة، المرجع السابق، ص 164.

2 - طاهر جبلي، دور القاعدة الشرقية في الثورة الجزائرية 1954-1962م، دار الأمة ، الجزائر ، 2014م ، ص314.

3 - المرجع نفسه، ص314.

4 - حياة رحابلي، المرجع السابق، ص: 282- 283.

خلاصة الفصل:

في ختام هذا الفصل يمكن استخلاص ما يلي:

لقد شكل إنخراط مصطفى الأشرف في "حزب الشعب الجزائري عام 1939م نقطة انطلاق لنشاط سياسي متواصل وفاعل، حيث أسندت إليه مهام محورية تمثلت في الإشهار والدعاية والتوعية الجماهيرية بالقضية الوطنية معتمدا على مختلف الوسائل الإعلامية آنذاك إلى جانب مساهمته الفكرية عبر مقالات عميقة التحليل صحف الحزب ومع إعادة بعث الحزب تحت مسمى " حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1946م"، تولى منصب كاتب المجموعة البرلمانية مما تاح له الإسهام في تنظيم النشاط السياسي ضمن الأطر التشريعية .

إمتد نشاطه لاحقا الى الساحة الفرنسية مستغلا وجود الجالية الجزائرية لا سيما الطلبة في توسيع دائرة الدعم للحركة الوطنية .

وفي ظل تصاعد الخلافات الداخلية داخل الحزب إختار هذا المناضل موقف الحياد إلى أن حسم أمره بالإلتحاق بجهة التحرير الوطني التي برزت كقوة سياسية جامعة حيث واصل نضاله بالقلم والإعلام مؤديا دورا في تعزيز الوعي الوطني والدعوة إلى توحيد الصفوف تحت راية الجبهة باعتبارها الممثل الشرعي للشعب الجزائري.

إنضم مصطفى الأشرف إلى الثورة التحريرية الجزائرية منذ إندلاعها في نوفمبر 1954م حيث ساهم بدور فعالا إلى الجانب الإعلامي والدعائي مستغلا ثقافته الواسعة وعلاقاته مع المثقفين الفرنسيين لنقل صوت الثورة إلى الخارج حيث إعتبر من أبرز منظري الثورة على الصعيد الإيديولوجي، وساهم في تعزيز صورتها في الرأي العام الدولي واصل نشاطه حتى تم إختطافه من قبل السلطات الفرنسية في حادثة الطائرة الشهيرة يوم 22 أكتوبر 1956 م رفقة قادة الثورة الأربعة ما كشف الوجه الحقيقي للإستعمار الفرنسي ورغم سجنه إستمر في النضال الفكري مؤمنا بأن الثورة معركة تحرير شاملة تشمل الفكر والسلاح معا .

الفصل الثالث: الهوية الجزائرية في فكر مصطفى

الأشرف

4- الإسلام

5- اللغة العربية

6- الثقافة

7- الأمازيغية

تعد الهوية من أكثر المفاهيم تعقيدا وتشعبا لاسيما في السياقات التاريخية والثقافية التي شهدت تجاذبات حادة وصراعات فكرية عميقة كما هو الحال في الجزائر فالهوية الجزائرية ليست مجرد معطى جامد أو جوهر ثابت بل هي بناء تاريخي وثقافي تعددي تشكل عبر مراحل طويلة من التفاعل بين عناصر دينية ولغوية وحضارية مختلفة، وفي هذا السياق يبرز إسم مصطفى الأشرف بوصفه محاولة جادة لإعادة تركيب هذا المفهوم وإعادة تأويل مكوناته في ضوء التجربة التاريخية للجزائر خاصة ما بعد الإستقلال حيث طرحت إشكالية الهوية بإلحاح في خضم مشاريع بناء الدولة الوطنية .

ينظر مصطفى الأشرف على الهوية الجزائرية كمركب غني ومعقد يتجاوز الرؤية الأحادية ويؤكد على أهمية الإعتراف بجميع مكوناتها كمدخل أساسي لفهم الذات الجماعية للجزائريين فالهوية عنده ليست مجرد إنعكاس للإنتماء الديني أو اللغوي فحسي بل هي منظومة من العناصر المتداخلة التي تشمل الإسلام، واللغة العربية، والإنتماء العروبي، بالإضافة إلى الأمازيغية كمكون أصيل لا يمكن إغفاله أو تهميشه .

وبناء على هذا التصور يتناول هذا الفصل مكونات الهوية الجزائرية كما يراها مصطفى الأشرف وذلك من خلال أربعة مباحث رئيسية يخصص المبحث الأول لدراسة الإسلام باعتباره العمق الروحي والثقافي للمجتمع الجزائري والمصدر الذي شكل وعيه الجمعي ووجه مساره التاريخي، أما المبحث الثاني فيركز على اللغة العربية بوصفها وعاء حضاريا ووسيلة للتعبير عن الذات الثقافية وعاملا موحدا في مشروع بناء الأمة ويعالج المبحث الثالث العروبة كمكون حضاري وإنتماء ثقافي يتجاوز الحدود الجغرافية بينما يعنى المبحث الرابع بالأمازيغية باعتبارها بعدا تاريخيا وجغرافيا لا يقل أهمية عن سائر المكونات السابقة بل يشكل ركيزة أساسية في فهم الهوية الجزائرية في تنوعها ووحدتها من خلال هذا الفصل سنسعى إلى تحليل الكيفية التي تعامل بها مصطفى الأشرف مع هذه المكونات وإستكشاف رؤيته المتوازنة التي ترفض الإقصاء وتدعو إلى الإعتراف بكل ما هو أصيل في التجربة الجزائرية سعيا نحو بلورة هوية وطنية جامعة متصالحة مع ذاتها وتاريخها .

1_ الإسلام :

شكل الإسلام عبر مختلف الحقب التاريخية قوة فاعلة في الحفاظ على الهوية الجماعية ومواجهة التحديات السياسية الثقافية ولم يكن مجرد عقيدة دينية بل إطارا حضاريا ساهم في مقاومة الإستعمار وقد تنوعت مواقف الشخصيات السياسية والفكرية والدينية إتجاه الإسلام كل من زاويته الخاصة بين من رآه محركا أساسيا للنهوض الحضاري ومن إعتبره عاملا في تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية للأمم .

قبل التطرق إلى تلك الآراء يجب علينا معرفة مفهوم الإسلام كمصطلح فهو النموذج المثالي للفرد المتدين يقبس منه ويسعى جاهدا إلى إنزاله في واقعه الزمني اليومي، و بمقدار ما يخضع حياته في كلياتها وجزئياتها لمقتضياته يزداد قرب من هذا النموذج، أي يزداد قرب من خالقه الذي يتوجه في جهده الديني إليه طالبا لرضاه وطمعا في وعده الأخروي .¹

وبما أن الإسلام ظل حاضرا في مختلف مراحل تطور المجتمعات فقد إختلفت النظرة إليه حسب السياقات والظروف وتعددت الآراء حول وظيفته في الحياة العامة حيث رأى البعض فيه مصدرا لبناء مجتمع متوازن يقوم على القيم، في حين إعتبره الآخرون قوة دافعة للتغيير ومقاومة للهيمنة الإستعمارية .

هذا وشكل الدين الإسلامي محورا جوهريا في مسيرة النخبة المثقفة الجزائرية خلال كفاحها ضد الاحتلال الفرنسي فقد تنوعت المرجعيات الثقافية للنخبة إلا أن القاسم المشترك بينها كان التمسك بالإسلام كمنظومة قيمة وثقافية تواجه المشروع الإستعماري في عمقه الحضاري والسياسي لم يكن من الممكن فهم هذا النضال دون إدراك مكانة الدين في صلب المطالب التي رفعتها النخبة،² خاصة تلك التي جمعت بين الطابع الثقافي والديني والسياسي ومن بين مطالب النخبة التي تمحورت حول المطالبة بدعم التعليم الإسلامي، و إنشاء جامعة إسلامية تخدم المجتمع الجزائري وتحفظ هويته³

¹ - أبو القاسم سعد الله :أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط3، دار الغرب الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1990م، ص142 .

² - بشرى بن دراجي : البعد الإسلامي للنخبة الجزائرية في نضالها السياسي ضد الإستعمار الفرنسي، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 02(2021م)، ، مج6، ص : 347.348.

³ -، المرجع نفسه، ص 348.

في حين تميز مصطفى الأشرف عن غيره من النخب برؤيته الخاصة للإسلام حيث يظهر مصطفى الأشرف فهما عميقا لطبيعة الكفاح الوطني الجزائري خلال القرن 19 حيث ينتقد الطرح الإستعماري الذي إحتزل المقاومة في بعدها الديني فقط ففي قوله "إن تاريخ الجزائر خلال القرن 19 حافل بالأحداثو عواملها ومقوماتها يؤكد على أن التاريخ الوطني لم يكن مجرد ردة فعل دينية بل تجسيد وعي قومي جزائري متكامل كما يقلد أطروحات يبعث المؤرخين الفرنسيين الذين إعتبروا أن ما دفع لشعب إلى مقاومة الاحتلال بين سنتي 1832-1848م هو فقط الشعور الديني أو التعصب الإسلامي حسب زعمهم مبرزا بذلك الطابع السطحي لقراءتهم للتاريخ¹ ويقر مصطفى الأشرف بدور الإسلام في تعبئة الجماهير "ما من شك أن العاطفة الدينية قامت في بداية الأمر بدور هام "فالعامل الديني حسب رأي صاحب كتاب الجزائر: الأمة والمجتمع لم يكن له دور أساسي في الحروب التي خاضها الجزائريون لتحقيق الإستقلال بل كان مجرد جزء من كل ومحفز من بين محفزات أخرى سياسية ووطنية ويؤكد ذلك بقوله "فالعامل الديني أو التعصب كما لم يكن له دور سياسي في الحروب التي خاضها الجزائريون من أجل الإستقلال أو في الكفاح الذي قاده الأمير خلافا لما يدعيه بعض المؤرخين السطحيين "من خلال هذا الطرح يفند الأشرف النظرة الإستعمارية التي حاولت إفراغ المقاومة الجزائرية من محتواها السياسي والوطني وتصويرها على أنها مجرد إنتفاضة دينية متعصبة في حين أن الوقائع التاريخية كما يقرها الكاتب تثبت أن الأمير عبد القادر لم يكن زعيما دينيا فقط بل كان قائد سياسيا يخطط لبناء دولة وطنية حديثة ذات إدارة وتنظيم عسكري متطور كما أن الشعب الجزائري لم يتحرك فقط بدافع ديني بل بدافع الدفاع عن الأرض والكيان وهو ما يؤكد الكاتب حين أشار إلى أن حصر المقاومة في "التعصب الإسلامي" لا يعكس عمق التجربة الجزائرية ولا في تعدد روافدها².

¹ - مصطفى الأشرف : الجزائر الأمة والمجتمع، المصدر السابق، ص 47 .

² - المصدر نفسه ، ص48 .

و عليه فإن صاحب الكتاب يبرز الإسلام كمكون من مكونات الوعي الجمعي لكن من منظور وطني حضاري يرفض إستغلاله كأداة لتبرير النظرة الإستعمارية التي حاولت تشويه المقاومة الجزائرية يؤكد الكاتب أن رد الفعل الجزائري إتجاه الاحتلال الفرنسي لا يمكن إرجاعه للعامل الديني وحده، بل هو ناتج عن مجموعة من الدوافع "سياسية ..إجتماعية ..عاطفية ..إيديولوجية "ويستطرد قائلاً "تلك إذا هي الإعتبارات التي يجدر بنا أن نتناولها بالبحث ونحن بادئ ذي بدء ...وعي سياسي "وهو تصريح واضح يكشف موقفه الرفض للمقاربة الإستعمارية التي تعتبر أن الجزائريين كانوا يفتقرون إلى الوعي السياسي وتحركهم فقط كان ناتج عن غرائز دينية متعصبة.¹

يبرز الكاتب بوضوح أن الجزائريين لم يكونو مجرد "رعايا مسلمين "يتحركون على أساس ديني صرف بل كانوا يملكون تمييزا واعيا بين الإلتواء الديني والوطني والقومي فالعلاقة التي جمعتهم بالسلطة العثمانية رغم وحدة الدين لم تكن كافية لمنعهم من التمرد والرفض عندما شعروا أن تلك السلطة لا تجسد تطلعاتهم السياسية والاجتماعية، ومن خلال هذا الطرح يفند الكاتب بشكل مباشر الطاعة العمياء للسلطة الإسلامية ويؤكد أن الشعب الجزائري كان يتمتع بقدر كبير من الوعي السياسي القومي يمكنه التفريق بين العقيدة كمنظومة روحية تجمع المسلمين، وبين السياسة كمجال للمصالح والهوية الوطنية كمجال للولاء والإلتواء الحقيقي²

- كما يوضح الكاتب أن إشتراكهم مع العثمانيين في الإسلام لم يكن سببا كافيا للولاء المطلق، لأنهم كانوا يطالبون بحقوقهم في تقرير مصيرهم وتحديد مستقبلهم السياسي وفقا لمصالحهم الوطنية وليس فقط وفقا للرابطة الدينية وبالتالي فإن موقف مصطفى الأشرف في هذا المقطع يؤكد على أن الإسلام كان موجودا في وعي الجزائريين لكن لم يكن هو المحدد الوحيد لسلوكهم السياسي بل كانت هناك قومية جزائرية ناشئة، ووعي وطني بدأ يتبلور حتى قبل الاحتلال الفرنسي، يميز بين الدين كشعور جماعي ويبين السياسة كمساحة للصراع على المصالح والسلطة³.

¹ - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، المصدر السابق، ص49.

² - المصدر نفسه، ص 49 ,

³ - المصدر نفسه، ص50.

يؤكد الكاتب مرة أخرى أن الإسلام كان عنصر أخلاقيا في المشروع الوطني إلا عائقا أمام التعدد والتعايش أمام الممارسة السياسية الحديثة فإختيار اليهود لبعض المهام السياسية لم يكن خيانة للدين بل تعبيرا عن عقل سياسي براغماتي تجاوز الإنغلاق وسعى إلى بناء دولة حديثة قادرة على التفاعل مع محيطها المتنوع وعليه ضمن هذا المنظور يركز الكاتب في كتاباته على أن الحروب والثورات التي شهدتها الجزائر إلى غاية 1884م لم تكن مدفوعة بدافع ديني ضيق بل كانت تهدف أساسا إلى تحرير التراب الوطني في قوله "وما من أحد يستطيع أن ينكر الحرب التي خاضتها الأمير وكذلك الثورات التي إندلعت بقيادة الأمير عبد القادر إلى غاية 1884م ما قامت إلا من أجل تحرير التراب الوطني الزعماء الجزائريين " ¹.

و هنا يضع القضية الوطنية في قلب المقاومة ويفند كل محاولة لفصلها عن بعدها السياسي أو لتحجيمها في مجرد إنتفاضة دينية فالجهاد في هذا السياق لم يكن شعيرة دينية فقط بل إعلانا سياسيا له بعد وطني تحرري واضح، وهو ما يتعارض مع ما جاء به كل من محمد حربي ومحفوظ قداش وفرحات عباس في كتاباتهم، إذ يرى فرحات عباس بأنه " بدون الإسلام لم يكن المسلمون ليتمكنوا من تحرير أنفسهم من الإستعمار ولوكان هناك شخص يشك في ذلك فيكفيه أن يقوم بدراسة الثورة الجزائرية، عندئذ سيقطع الشك باليقين بأنها ثورة إسلامية إندلعت تحت راية الإسلام وإنتصرت بفضلها ولكون رجالها كانوا يحملونها كشعار كلمة الله التي يقول فيه : "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلقه ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون" ².

أما محمد حربي فيرى أن الإسلام هو عامل الوحدة وهو من لم شمل الجزائريين وكذا دافع ومحرك لهم منذ الاحتلال الفرنسي، فلا أحد يستطيع إنكار الطابع الديني الذي طبع المقاومات الشعبية التي إستمدت منه شرعيتها وقوتها ³، ويزيد محفوظ قداش في كتابه جزائر الجزائريين بأنه من دلالات أهمية الإسلام لدى الفرد

¹ - مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، المصدر السابق، ص50.

² - عباس فرحات، الإستقلال المصادر 1962-1978، تر: محمد رباحي وابن داود سلامنية، منشورات الجزائر للكتب، الجزائر، 2015، ص238.

³ - محمد حربي، سنوات المخاض، تر: نجيب عباد، صالح المثلوني، سلسلة صداد، الجزائر 1994، ص76.

الجزائري أن زعماء الطرق الصوفية هم من إضطلعوا للدفاع عن البلاد والعباد وكانوا يجندون الأتباع ويجمعون الأموال باسم الجهاد والدين والهدف المشترك هو حماية وصيانة الإسلام من الكفار والصليبيين.¹

أما الأشرف فدافع دوما عن فكرة مفادها أن الوطنية تسبق الإسلام في نفوس الجزائريين، وهو الأمر الذي لا يتفرد به الجزائريين فقط، بل غيرهم من الشعوب في العالم وأعطى مثالا على الثورة الفرنسية التي فجرت شرارة الديمقراطية فيقدم الأشرف هنا مقارنته الجريئة لبث الخطاب الديني في السياق الإسلامي وخطاب الثورة الفرنسية حيث يقول "إن هذا النداء من أجل إنقاذ الأمة الإسلامية المهددة باسم الإشعار، يضاهي الشعار الذي رفعته الثورة الفرنسية إعتبرته من أقدس مقدساتها ألا وهو الوطن في خطر" من خلال هذه المقارنة يؤكد الكاتب أن الخطاب الديني الذي إستخدمه المقاومون الجزائريون مثل الأمير عبد القادر لم يكن خطابا تعصبيا أو رجعيا بل كان يحمل نفس الطابع السياسي الذي نجده حتى في أعظم الثورات الغربية كالثورة الفرنسية أي أن نداء الأمة الإسلامية في خطر لم يكن سوى صيغة محلية أصيلة للتعبير عن نفسي المعنى الذي حمله شعار "الوطن في خطر" في فرنسا سنة 1792 م هذا الطرح يدل على أن الكاتب يرى في الإسلام وسيلة تحفيز جماعي وتعبئة وطنية في لحظات الخطر وليس مجرد منظومة روحية تستخدم لتبرير الصراع بل يؤكد أن اللغة الدينية في الجزائر لم تكن بعيدة عن السياق السياسي والوطني بل كانت أداة من أدوات حماية الكيان الجماعي، تماما كما إستخدمت الثورة الفرنسية مفاهيم مثل الوطنية والجمهورية لحشد الناس والأهم من ذلك أن هذا التحليل يبرز نقد الكاتب للنظرة الإستعمارية الغربية التي ترى أن الإسلام دائما كعقبة أمام الحداثة والتحرر، بينما هو يبرهن هنا أن الإسلام على غرار الشعارات الوطنية الغربية يمكن أن يكون أساسا للتعبئة السياسية والوعي الوطني، بل ويمكن أن يؤدي نفس الوظيفة التاريخية التي أدتها الثورة الفرنسية في سياقه.²

¹ - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين 1830-1954م، تر: محمد العراجي، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2008م، ص 221.

² مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، المصدر السابق، ص 50-51.

2_ اللغة العربية:

تعد اللغة العربية أحد أبرز معالم الهوية الوطنية الجزائرية وركنا أساسيا في تشكيل الوعي الجماعي للأمة الجزائرية كونها تمثل لغة الضاد وأداة لنقل أعظم كتاب وأكمل شريعة لقوله تعالى ¹ "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" سورة يوسف الآية 2 الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن باللغة العربية لتكون مفهوما للعرب الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يتدبروه بعقولهم ويؤمنوا به . ²

إن اللغة العربية لم تكن بالنسبة لجمعية العلماء مجرد وسيلة تواصل بل كانت رمزا من رموز الهوية الحضارية الإسلامية وعنوانا لإستمرار المشروع الإسلامي في الجزائر ومن هذا المنطلق أولت الجمعية إهتماما بالغاً بنشر التعليم العربي وإقامة المدارس الحرة ومناهضة فرض اللغة الفرنسية التي سعت السلطات الإستعمارية إلى ترسيخها لغة أجنبية في المنظومة التعليمية ³، معتبرة أن اللغة العربية ليست من لغات البلاد وعلى الرغم من التضييق الفرنسي ومحاولاته البائسة ظل العلماء متمسكين برسالتهم يربون الأجيال على حب لغتهم ودينهم ويحرصون على تزويدهم بمعارف دينية ولغوية ⁴ تركز على الهوية الأصلية مستعنين بذلك بالخطب والمواظ والدروس في المساجد وتنظيم المحاضرات والندوات في الزوايا والأندية بل وحتى في البيوت . ⁵

تتشابه الكثير من الآراء في هذه النقطة حيث نجد أن حزب الشعب رفع صوته من خلال برامج الذي نص " إن الأمور المسلم بها أن الجزائر ذات جنسية خاصة، ومقومات الأمة الجزائرية تختلف إختلافا بينا عن تلك التي كونت الأمة الفرنسية بإقليم وإقتصاد الجزائر ومزاج أهلها ولغتهم ودينهم وعرضهم وتاريخهم ورغباتهم لا تمت بأية صلة على كل ما هو موجود بفرنسا" ⁶

¹ - محمد مسعودي، مسألة الهوية في برامج الحركة الوطنية الجزائرية 1926-1954، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية

والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، قسم التنظيم السياسي والإداري، 2017-2018م، ص 22

² - سورة يوسف، الآية : 2 .

³ - أحمد دركوش، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لدفاع عن اللغة العربية في الجزائر من خلال جريدة البصائر، مجلة تطوير العلوم

الاجتماعية، جامه زيان عاشور، الجلفة، 14(2022م)، مج2، ص 101.

⁵ - المرجع نفسه، ص 102 .

⁶ - محمد مسعودي، المرجع السابق، ص 135 .

يسوقنا الطريق إلى نظرة فرحات عباس الذي أدرك أن مسألة اللغة العربية تتجاوز بعدها الذاتي لتصبح عنصرا حاسما في بلورة الانتماء الثقافي والديني للشعب الجزائري خاصة في سياق الهيمنة الفرنسية التي سعت إلى طمس معالم الهوية الوطنية ويظهر ذلك جليا في المطالب التي رفعها ضمن برامجها السياسية كاحترام اللغة العربية والدين الإسلام وهو ما يعكس إدراكه لضرورة مواجهة الإستعمار من خلال الدفاع عن مقومات الذات الحضارية للأمة وتجدد الإشارة إلى ان إنخراط فرحات عباس في العمل السياسي بدءا من تأسيسه لحركة إنتصار الحريات الديمقراطية سنة 1953م قد إرتبط بوضوح بمشروع ذا أهمية يسمى "بالمشروع الثقافي العربي الإسلامي" يهدف إلى ترسيخ اللغة العربية في التعليم والإدارة إلى جانب الدفاع عن العقيدة الإسلامية كإطار مرجعي أساسي¹.

ومن جهة أخرى يرى الباحث والمؤرخ أبو القاسم سعد الله أن اللغة العربية تشكل الوعاء الأساسي الذي تنتقل عبره الثقافات من جيل إلى جيل إذ تحتوي هذه الثقافة على تراكمات من التقاليد والعقائد والتصورات وأساليب التعبير مما يجعل اللغة ليست فقط أداة تواصل بل أيضا حاملة للمعنى وجامعة للهوية الثقافية فاللغة من هذا المنظور تؤدي دورا محوريا في التشكيل الاجتماعي وبناء الوعي الفردي والجماعي وفي سياق العلاقة بين اللغة والثقافة فإن أي تحول أو تغير في أحدهما لا بد أن ينعكس بالضرورة على الآخر لكونهما مرتبطين إرتباطا وثيقا وعليه فإن اللغة لا تعد مجرد أداة تواصل بريئة بل هي أحد العناصر المؤثرة في تشكيل الهوية الوطنية وبناء الشخصية التاريخية للأفراد، فالفرد حسب أبو القاسم سعد الله يتأثر عميقا باللغة التي يعبر بها إذ تترك هذه الأخيرة أثرا بالغا في أنماط تفكيره وتصوراته ومشاعره².

ومن زاوية تحليلية أخرى يرى المؤرخ محمد حربي أن ثمة قناعة راسخة تبلورت في سياق النقاش حول المسألة الثقافية والهوية الوطنية خاصة خلال فترة الثلاثينيات ومفادها أن تنامي الوعي الوطني كان نتيجة مباشرة لما شهدته المغرب العربي من تحولات لا سيما بلور التيار الإصلاحي وما أفرزه من مواقف فكرية وسياسية وقد كان لهذا التيار الأثر البالغ في بلورة ملامح الشخصية العربية الإسلامية إذ إرتبط الدفاع عن

¹ . حياة رحايلي: الإسلام والإشتراكية في مشروع الثورة الجزائرية تنظيرا وممارسة، المرجع السابق، ص 225

² - سلوى لهلال، المسألة الثقافية في أدبيات حركة الوطنية الجزائرية 1919-1954م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2، قسم التاريخ، 2016 . 2017 م، ص 48 .

هذه الهوية بالمواجهة الثقافية للإستعمار الذي كان يعمل على تفويض الهوية ومحاولة طمس مقوماتها الأساسية وبهذا المعنى فإن الحركات الثقافية في تلك المرحلة لم تكن بمعزل عن الحراك السياسي والإجتماعي بل كانت في جوهرها تعبيراً عن مقاومة فكرية ذات أبعاد حضارية غير أن هذه التوجيهات كما يشير إليها محمد حربي قد واجهت محدودية في فاعليتها إذ لم تستطع لتحقيق أهدافها بالكامل إذ يعود ذلك في جانب كبير منه إلى السياسة الفرنسية المغلقة التي لم تفسح المجال لأي حوار حقيقي مع النخب سواء على المستوى التربوي أو الثقافي أو السياسي¹ قوبلت كلها بالرفض والإهمال من طرف الإدارة الفرنسية التي إعتمدت سياسة الإقصاء والتهميش مما ساهم في فشل تلك التوجهات وعدم قدرتها على التفاعل مع المجتمع بالدرجة المطلوبة .

وبعد التطرق إلى مواقف وآراء العديد من التيارات الوطنية والشخصيات كفرحات عباس وحزب الشعب وجمعية العلماء وأبو القاسم سعد الله من مسألة اللغة العربية، يحسن بنا الآن الإنتقال إلى جوهر هذه الدراسة وذلك من خلال الوقوف على موقف مصطفى الأشرف من قضية اللغة باعتباره من أبرز المفكرين الذين أولوا هذه المسألة إهتماماً خاصة سواء من خلال كتاباته أو مداخلاته الفكرية، حيث ان المكانة المركزية للغة العربية في تشكيل هوية المجتمع الجزائري وفي الحفاظ على تماسكه فحسبه اللغة العربية ليست فقط من مقومات الأمة، بل هي بالدرجة الأولى من مقومات المجتمع النشيط أي المجتمع الحي الذي يسعى إلى الإستمرار والتطور، ويؤكد أن إرتباط اللغة بالمجتمع أقوى وأعمق من إرتباطها بالأمة مما يعكس وعيه بالدور الوظيفي للغة في الحياة اليومية، كما يبرز الكاتب أهمية الثنائية اللغوية في الجزائر، حيث يرى أن الفصحى والدارجة وأيضا الأمازيغية ليست لهجات مهمشة بل أدوات فعالة للتواصل ما يدل على إحترامه للتنوع اللغوي في البلاد وهو يثمن الجهود الشعبية من "أفراد، جمعيات، زوايا" التي حافظت على تعليم العربية ونشرها حتى في المناطق الغير ناطقة بها، في مقابل الإشارة إلى أن الإستعمار الفرنسي لم يسهم في ذلك بل همش اللغة العربية، ومن خلال هذا الطرح يمكن القول بأن الكاتب أشاد أن اللغة العربية ركيزة أساسية للتمسك المجتمعي والهوية الوطنية مع الإنفتاح على التعدد والتنوع الداخلي الذي يميز المجتمع الجزائري².

¹ - سلوى الهلالي، المرجع السابق، ص 49.

² - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، المرجع السابق، ص 431.

يرى مصطفى الأشرف أن اللغة العربية باعتبارها أحد الركائز الأساسية للهوية الوطنية الجزائرية لم تتراجع بسبب ضعف ذاتي في بنيتها أو في طرق تدريسها بل بسبب تحول عميق في البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري عقب الغزو الفرنسي فالإستعمار لم يكتف باحتلال الأرض فحسب بل مارس شكلا خفيا من الغزو الثقافي واللغوي¹ أدى إلى إدخال اللغة العربية في ما يسميه "وضعية المغلوب" أي أنها أصبحت تنظر إليها على أنها لغة متخلفة أو دونية مقارنة باللغة الفرنسية التي إرتبطت بالحدثا والسلطة والتعليم والإدارة كما يظهر الكاتب وعيا مبكرا بطبيعة الصراع اللغوي في الجزائر ليس كصراع بين لغات فحسب بل كصراع بين مشروعين حضاريين وثقافيين "مشروع إستعماري" يسعى لإقتلاع الجذور ومشروع وطني يسعى لإستعادة الهوية وبناء مجتمع مستقل لذلك فالدفاع عن اللغة العربية في نظره ليس مجرد مسألة لغوية بل خيار وطني وجودي يخص كيان المجتمع وتماسكه وإرتباطه بتاريخه ومحيطه الثقافي .

اللغة العربية رغم كونها حاملة للهوية الدينية والثقافية لم تمنع الفرصة لتؤدي دورها كاملا في التعبير عن كل أبعاد الحياة الوطنية فكانت محصورة في الخطاب الإصلاحى الدينى، في حين إحتكرت الفرنسية أغلب مجالات التغيير الحديث هذا الواقع يعكس إستمرار الهيمنة اللغوية الفرنسية، ويؤكد أن معركة إستعادة اللغة العربية هي في جوهرها معركة تحرر ثقافي لا تقتصر على التعليم بل تشمل إعادة التوازن إلى الفضاء اللغوي والفكري في الجزائر .

يرفض الكاتب أي محاولة لطمس الهوية اللغوية للجزائريين سواء عبر الإدعاء بأن الفرنسية أصبحت لغة الأم، أو عبر تهميش اللغة الفصحى والدارجة وهو يعتبر أن اللغة بجناحيها الشعبي والفصحى هي الوعاء الأساسى للشخصية وأن الحفاظ عليها هو جزء لا يتجزأ من مقاومة الإستعمار ومن صيانة السيادة الثقافية، كما يهاجم بشدة النخب المستلبة التي تروج لصورة مغلوطة عن الشعب الجزائري أمام الأجانب معتبرا ذلك خيانة رمزية للهوية الوطنية.²

اللغة العربية الفصحى ليست مجرد أداة للتواصل الكتابي أو الشفهي بل هي وعاء للثقافة والمعرفة ووسيلة لصيانة المفاهيم ونقل القيم الوطنية والأفكار الكبرى إلى الأجيال ويؤكد أن الفصحى إكتسبت عبر تطورها

¹ - مصطفى الأشرف ، الجزائر الأمة و المجتمع ،المصدر السابق، 431. 432 .

التاريخي مكانة رفيعة بين المثقفين والأدباء والعلماء العرب¹ أفغدت لغة العلم والتعبير الراقى، مما جعلها رمزا حضاريا يرتبط بوجود الأمة الجزائرية وثقافتها العميقة .

ينتقد الكاتب مصطفى الأشرف بشدة الميل نحو إستخدام الدارجة على حساب اللغة العربية الفصحى معتبرا أن هذا الميل قد يؤدي إلى تآكل الهوية الثقافية وإضعاف الوعي الوطني ويرى أن الدارجة رغم دورها الوظيفي اليومي في التواصل بين فئات المجتمع تبقى محدودة في قدرتها على التعبير الدقيق عن المفاهيم المجردة والمعاني العميقة مما قد يعرقل تطور الفكر السياسي والثقافي داخل المجتمع ويرجع مصطفى الأشرف بعض مظاهر سوء التفاهم والتشتت الثقافي إلى قلة إستعمال الفصحى وإلى تراجع الجهود المبذولة في سبيل ترسيخها كلغة رسمية ويحذر الكاتب من أن إقتصار التواصل بلغة دارجة مشوهة من دون قواعد واضحة يمكن أن يؤدي إلى فساد في التعبير وسوء في الفهم بل وحتى إلى عجز في نقل الأفكار والإيديولوجيات الكبرى إلى الجماهير بالشكل الذي يضمن إنسجام المجتمع ووحدته الوطنية، لذلك يعتبر إستعادة المكانة للغة العربية الفصحى في التعليم والإعلام أمر ضروري لضمان الإرتقاء بالوعي الوطني وتعميق الإنتماء الثقافي إنطلاقا من هذا التصور يبرز موقف مصطفى الأشرف كدعوة صريحة إلى التمسك باللغة العربية الفصحى، ليس فقط كأداة معرفية، بل كقيمة وطنية وحضارية عليا يجب الحفاظ عليها وتطويرها لتكون بمثابة الدرع الواقى للهوية الوطنية في مواجهة كل محاولات الإغتراب الفكري.²

و من خلال رأينا الشخصي نجد أن اللغة العربية ليست مجرد وسيلة تواصل بل هي حاملة الهوية الثقافية وحضارية عميقة فهي لغة القرآن ولغة التاريخ المشترك لشعوب المنطقة، وتمثل في السياق الجزائري ركيزة أساسية لبناء الوحدة الوطنية بعد الإستعمار .

¹ - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، المصدر السابق، ص432 .

² -، المصدر نفسه، ص432. 433 .

3- الثقافة:

3-1 مفهوم الثقافة:

3-1-1 معناها اللغوي:

أصل الثقافة في المعاجم العربية يعود إلى الفعل الثلاثي " ثقف " فيقال : الثاء والقاف والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع، وهو إقامة درء الشيء، وجاءت الثقافة في اللغة العربية في عدة معاني منها : الحذق والفطنة، وقوة الإدراك حيث يقال : ثقف الرجل، والتهذيب والتأديب كما جاء في قوله " ثقف المعلم الطالب"، وسرعة أخذ العلم وفهمه "ثقف الطالب الدرس"، وثقف الشيء بمعنى "أدركه"، وثاقفه بالسلاح أي " لاعبه بالسلاح".¹

3-1-2 معناها الإصطلاحي :

يشكل مصطلح الثقافة واحدا من أكثر المفاهيم تعقيدا مما جعل الاتفاق على تعريف موحد له أمرا صعبا بين علماء الاجتماع، رغم كثرة وروده في مؤلفاتهم المتنوعة ويعكس هذا التعقيد ما صرح به "ستيفان جيودمان" أستاذ بجامعة منيسوتا " خلال مداخلته في مؤتمر نظمه البنك الدولي حول الثقافة والعمل العام بقوله : " إننا لو سألنا ألف شخص عن معنى الثقافة فالأغلب أننا سوف نحصل منهم على أكثر من ألف تعريف نظرا لإختلاف وتباين خبراتهم الخاصة ".²

الثقافة في معناها الإصطلاحي أوسع بكثير من معناها اللغوي، ومن الصعوبة أن يجد لها الإنسان تعريفا موحدا لإختلاف مجالات الدراسة أو لإختلاف إهتماماتها سواء كانت تاريخية أو إجتماعية أو فلسفية، فحسب تعريف عالم الأنثروبولوجيا البريطاني " إدوارد بارنات تايلور " Edward Burnett Tylor والذي يعد أول من إقترح للثقافة تعريفا مفهوما : هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع . فالثقافة

¹ - جميلة بنت عيادة الشمري، مفهوم الثقافة في الفكر العربي والفكر الغربي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، ص 4 .

² - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ط15، دار الفكر، دمشق . سوريا، 2011م، ص 37 .

بالنسبة لتاييلور هي الإطار العام الذي يحيط بالإنسان ويشكل طريقة تفكيره، وسلوكياته وتفاعله مع الآخرين فهي لا تقتصر على جانب واحد من الحياة بل تشمل جميع الجوانب التي يكتسبها الإنسان من خلال عيشه داخل المجتمع مثل المعرفة والقيم والمعتقدات والعادات والفن والقانون وغيرها من المكونات التي تميز كل مجتمع عن غيره، بإختصار، الثقافة حسبه ليست مجرد مظهر خارجي بل هي جوهر وجود الإنسان الإجتماعي وهي التي تمنحه القدرة على أن يكون فاعلا داخل مجتمعه ومتوصلا مع تراثه ومساهما في بناء حضارته.¹

— بينما يعرفها " دينيس كوش" في كتابه مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية " بوصفها سيرورة رمزية تتمثل في تنمية قدرات الإنسان العقلية والروحية وهي تمثل إنتقالا دلاليا من معناها الأصلي المرتبط بفلاحة الأرض إلى معنى مجازي يشير إلى تهذيب الفرد وتكوينه داخل المجتمع من خلال المعارف والقيم.²

— وحسب ما ورد في كتاب "مشكلة الثقافة" لمالك بن نبي فإن مفهوم الثقافة يفهم من خلال دلالات الكلمة في اللغة العربية ومن خلال تطورها التاريخي، ففي الإستعمال التاريخي لم تستخدم الكلمة بمعناها المتداول حديثا إلا في العصر الحديث إذ لم تكن تستخدم في العصر الأموي أو العباسي بنفس المعنى مما يدل على أن الكلمة ليست ذات أصل عربي قديم في مدلولها الثقافي الحالي بل أن إستعمالها بهذا الشكل جاء لاحقا متأثرا بالإتصال مع الثقافات الأخرى.³

— كما أشار مالك بن نبي إلى وجود مدارس فكرية في تناول مفهوم الثقافة، أولها " المدرسة الغربية الرأسمالية" والتي تعتبر الثقافة إنعكاسا لفلسفة الفرد وفكره والثانية " المدرسة الماركسية" التي ترى أن الثقافة تعبر عن فلسفة المجتمع غير أن مالك بن نبي أضاف من خلال رؤيته مدرسة ثالثة وهي "المدرسة الإسلامية" التي تنظر إلى الثقافة بوصفها إنعكاسا متوازنا لفلسفة كل من الفرد والمجتمع معا الواضح أن كلام مالك بن نبي يعكس فهما عميقا لمفهوم الثقافة كعامل بناء حضاري لا يجب أن يكون منحازا تماما للفرد كما في الغرب ولا في

¹ - مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 37 .

² - دينيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر : منير السعيداني، المنضمة العربية للترجمة والنشر، بيروت، 2007م، ص 17

³ مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر : عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق سوريا، 1984م، ص 19 .

الجماعة كما في الفكر الماركسي بل يجب أن يكون متوازنا بحيث يعطي للفرد حريته وإبداعه وللمجتمع وحدته وتماسكه وكل ذلك في ضوء قيم ومبادئ مستمدة من الإسلام.¹

عند دراسة لتحويلات التاريخية التي طرأت على المجتمع الجزائري لا يمكن إغفال الأثر العميق الذي خلفه الفتح الإسلامي الذي أدى إلى تمازج مكونات المجتمع الجزائري من عرب وبربر حيث أشار عبد الحميد بن باديس إلى هذه الظاهرة في كتاباته مؤكدا على وحدة الشعب ما إنعكس ذلك على العلماء والمصلحين الذين عبروا عن إلتماثلهم لهذه الأرض وخدموا الإسلام من خلالها فالمجالس العلمية التي عقدت على مر العصور شهدت مشاركة أبناء الجزائر من مختلف الأعراق في الدفاع عن الدين واللغة العربية والمساهمة في النهضة الفكرية الإسلامية.²

و من جهة أخرى نجد جمعية العلماء المسلمين حيث تعتبر النموذج الأكثر تعبيرا عن التفاعل الحقيقي مع الواقع الثقافي للجزائر حيث أنها تبنت إيديولوجيا تنطلق من الإسلام والعروبة وتنسجم مع معتقدات المجتمع وتقاليدته وكانت تهدف إلى إعادة بناء الشخصية الوطنية في مواجهة مشروع التذويب الثقافي الذي سعى لفرض قيم غريبة لا تمت بأية صلة لهوية الشعب.³

و في سياق متصل يرى الباحث أحمد منور أن الدولة الجزائرية حتى قبل الحقبة الإستعمارية عرفت بتعدد مكوناتها العرقية لكنها ظلت وفية للروح الإسلامية التي منحتها طابعا حضاريا مميزا ويؤكد أن الممالك والدول التي ظهرت في الجزائر بعد الفتح الإسلامي حملت هذا الطابع حتى بداية الاحتلال الفرنسي في القرن التاسع عشر لكن هذا التماسك الثقافي واجه تهديدا كبيرا مع بداية الاستعمار الفرنسي إذ حاولت الإدارة الإستعمارية القضاء على هذا التلاحم بين العرب و⁴ البربر وقد بين الباحث محمد العربي ولد خليفة أن المستعمر الفرنسي إنتهج سياسات إستهدفت ضرب هذا التمازج من خلال إثارة النعرات العرقية والثقافية والسعي إلى تفتيت الهوية الوطنية⁵ عبر خلق هويات فرعية مصطنعة ومسح الشخصية الجزائرية من جذورها الإسلامية ورغم هذه

¹ مالك بني، مشكلة الثقافة، ط4، المرجع السابق، ص 1.

² سفيان ميمون، مواقف وآراء حول الثقافة الوطنية في الجزائر، مجلة الحقيقة، جامعة تيارت، قسم العلوم الاجتماعية، 42(2018م)، ص 294.

³ - المرجع نفسه، ص 301.

⁴ - المرجع نفسه، ص 295.

⁵ -، سفيان ميمون، المرجع السابق، ص 295.

المحاولات إلا أن المجتمع الجزائري صمد أمام هذه التحديات ورفض الخضوع التام للمشروع الثقافي الإستعماري ويتضح ذلك أن الهوية الثقافية تشكلت عبر مسار تاريخي طويل كان فيه الإسلام واللغة العربية الركيزتين الأساسيتين رغم التعدد العرقي والتحديات السياسية.¹

ضمن السياسة الثقافية التي إنتهجها الإستعمار الفرنسي في الجزائر برز توجه واضح لإقصاء اللغة العربية وهذا ما نبه إليه الدكتور أبو القاسم سعد الله أحد أعلام الفكر التاريخي في الجزائر، إلى أن إقصاء اللغة العربية لم يكن قرارا بريئا أو عرضيا بل رأى أن البداية كانت بمحاولة تقليص دور اللغة العربية في المؤسسات العلمية خاصة في مرحلتين الإبتدائية والثانوية والإكتفاء بها فقط في بعض المستويات لأغراض إدارية مثل تكوين المترجمين وبعض الموظفين المحليين وليس من باب الإعتراف بقيمتها الثقافية أو العلمية ويشير سعدالله إلى أن هذا التوجه كان مبيتا إذ لم يكن الغرض منه الإستجابة لحاجات المجتمع أو الإعتراف بترائه بل لتسهيل عملية الدمج في الثقافة الفرنسية فبدلا من أن تتوجه فرنسا إلى إستنهاض قدرات المجتمع الجزائري من داخله، عملت على فرض لغتها كلغة وحيدة للعلم والمعرفة ما ساهم في إضعاف الصلة بين الجزائريين وتراثهم الثقافي²

و في نفس النسق نجد رأي عبد الله شريط في مشكلة الثقافة حيث يرى أن إشكالية الثقافة تكمن في كونها تعكس بشكل مباشر عمق الأزمات التي يعيشها المجتمع إذ تنبثق الثقافة من الواقع نفسه وتعبّر عن أوجه الخلل التي يعاني منها الأفراد والمجتمعات هذه الرؤية تجعل من الثقافة مجالا لتحليل المشكلات في مرحلة ما بعد الإستقلال³ برزت العديد من المحاولات لإعادة تشكيل الثقافة لكن غالبيتها ظل حبيس تصورات مستوردة أو نابعة من مرحلة الإستعمار ما جعل ثقافة الجزائر تبدو هجينة في بنيتها وقد إعتبر هذا الوضع من أبرز مظاهر الأزمة الثقافية في الفكر ما بعد الكولونيالي حيث عانت الثقافة من إنقسام داخلي بين مرجعيتها الاصلية وتلك التي فرضت خلال الاحتلال.

¹ - المرجع نفسه، ص 296

² - حياة رحايلي، المرجع السابق، ص 225

³ - شهرة درسوني، مشكلة الثقافة ومشروعية الثورة الثقافية في فلسفة عبد الله شريط، مجلة المعيار، جامعة أبو القاسم سعد الله 2 الجزائر 61(2021م)، مج 25، ص 241 .

3_2/ الثقافة في فكر مصطفى الأشرف :

في تحليله للواقع الثقافي الجزائري ينطلق من الإقرار بحقيقة تاريخية مفادها أن الإستعمار الفرنسي لم يكن مجرد إستعمار عسكري بل كان إستعمارا ثقافيا أيضا هدفه طمس الهوية الوطنية ففي قوله " لقد قيل بحق وصدف بأن الإستعمار ظل طيلة قرن وربع يعمل من أجل القضاء على ثقافتنا " وهنا يعبر عن وعيه العميق بخطورة هذا المشروع الإستعماري الذي إستهدف اللسان العربي والثقافة الإسلامية وعمل على إقصائها من المجال العام والتربوي . يشير الكاتب إلى أن الثقافة الجزائرية وعلى رأسها اللغة العربية، تدهورت بفعل الإقصاء والتهميش، وظلت تدرس في الكتابات والزوايا فقط، أي في فضاءات مغلقة بعيدة عن المؤسسات الرسمية.¹

ثم ينتقل إلى نقد مرحلة ما بعد الإستقلال مسلطا الضوء على الشرع في محاولة إعادة إحياء الثقافة الوطنية ففي قوله : "من يدعي بأنه يمكن بين عشية وضحاهاخلق جيل كامل من الأعوان والمعلمين ... "يرفض بشدة الخطاب العاطفي الذي يغفل أهمية التخطيط والتكوين العميق، إنه يبرز الحاجة إلى مشروع ثقافي طويل الأمد قوامه التكوين الجاد والانفتاح العقلائي والإكتفاء بالشعارات القومية أو القرارات الفجائية.²

أما على المستوى الاجتماعي فإن مصطفى الأشرف لا يغفل التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري بعد الإستقلال ففي قوله " هذه الوضعية لازم الجديدة أدت إلى تخلي المجتمع عن بعض القيم ... "

يلاحظ أن الشعب بدأ يعيد النظر في بعض التقاليد التي لم تعد صالحة رغم تمسكه بها عاطفيا وهذا التحليل يظهر وعيا بأن الثقافة ليست فقط تراثا محفوظا بل هي أيضا نتاج الواقع والتغيرات، ويجب أن تتطور حاجات المجتمع دون أن تتخلى عن جذورها.³

يؤكد الكاتب أن الثقافة الحقيقية هي إلى توازن بين الخصوصية والانفتاح قائلا " الثقافة المنشودة هي التي تسعى إلى تلبية الحاجات بكيفية تراعي الإتجاهين : الإتجاه إلى مراعات الخصوصية والإتجاه إلى الإقتباس من

¹ - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، المصدر السابق، ص 418 .

² - المصدر نفسه، ص 418 .

³ - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، المصدر السابق، ص 419 .

الثقافات الأجنبية "و هنا تتجلى نظرتة العقلانية وهو لا يدعو إلى القطيعة مع التراث إلى الذوبان في الثقافات الأجنبية بل إلى ثقافة وطنية متجددة تحترم الذات والتعلم في آن واحد .

ومن خلال رأينا الشخصي نرى أن الثقافة هي مرآة الشعوب وروحها الحية فهي ليست فقط تراكما من العادات والتقاليد بل منظومة من القيم والمعارف التي تشكل وعي الفرد والمجتمع حيث لعبت الثقافة دورا محوريا في الحفاظ على الهوية الوطنية خاصة في وجه الإستعمار ومحاولات الطمس.

4_ الأمازيغية :

التعريف اللغوي :

ذهبت المصادر الكلاسيكية القديمة من يونانية ولاتينية إلى أن إسم الأمازيغ قديم جدا وكان معروفا حتى العهد الفينيقي وورد بصيغ متعددة منها "MAZAX" مازيس ونتيجة لصعوبة نطق الكلمة وإختلاف أصول الأصوات بين اللغات خاصة الإغريقية واللاتينية تغيرت الكلمة وأصبحت "أمازيغ" أما مصطلح مازيس كان يطلق على الشعب قوي أقلق الرومان كثيرا بثوراته أما كلمة بربر فهي كلمة كان يطلقها قدماء الرومان على سكان شمال إفريقيا التابعين أو المجاورين لهم وهذه الكلمة تجاهلها الأمازيغيون في لغتهم طوال العصور، واحتفظوا بإسمهم الأصلي أمازيغن¹

شهدت اللغة الأمازيغية مسارا معقدا ومتشعبا في الجزائر حيث كانت في فترات طويلة عرضة لتهميش والإقصاء إرتبط ذلك بالحقبة الإستعمارية وما بعدها خلال فترة الإستعمار، عرفت الحركة الأمازيغية أولى ملامحها عندما حيث رأت جمعية العلماء المسلمين أن الإسلام هو جوهر الهوية وجعلت من اللغة العربية أداتها الأساسية في التربية والنهوض الثقافي، لكنها لم تعطي إهتماما يذكر الأمازيغية أما أبو القاسم سعد الله فقد اعتبر الإسلام والعربية محورين رئيسيين في تشكيل الشخصية الجزائرية وإهتم بالثقافة كرافد تاريخي مع إعتراف محدود

¹ - مفيدة مقورة، دراسة في السياسات الترسيم و تأثيرها في مسار إستكمال الهوية الوطنية، مجلة البدر، جامعة قسنطينة -3، ع4، (2008م)،
مج10، ص632-633

بالأمازيغية كما تعاملت الأحزاب الوطنية مع هذه المكونات وفق سيقاتها فركزت على الإسلام والعربية كعناصر موحدة بينما ظهرت الأمازيغية لاحقا كمطلب ثقافي وسياسي بارز خاصة ¹.

وفي هذا النسق يرى مصطفى الأشرف أن اللغة الأمازيغية بما لها من عمق تاريخي وحضور جغرافي ممتد لم توظف ضمن مسار بناء الهوية الوطنية الجزائرية بالقدر الكافي، غير أن غياب التأصيل المعرفي لهذه اللغة ضمن مؤسسات البحث الوطني حال دون إستثمارها الحقيقي في إبراز البعد الحضاري الأمازيغي كجزء لا يتجزأ من الهوية الجزائرية ².

ومن زاوية أخرى يؤكد مصطفى الأشرف من خلال كتاباته أن الأمازيغية جزء أصيل لا يمكن إدراجه خارج مكونات الهوية الجزائرية حيث تتجلى هذه اللغة في أسماء الأماكن والرموز الثقافية، كما تشهد على العمق الحضاري للبلاد، وبالتالي لم يكن من دعة إستبعاد هذه اللغة بل رأى فيها جزءا لا يتجزأ من هوية الجزائر ³.

حسب نظرنا تمثل الأمازيغية جزءا أصيلا من الهوية الجزائرية وليست مجرد لغة بل تراث ثقافي وحضاري عريق يعكس تنوع المجتمع وتاريخه العميق. إن الإعتراف بها لغة وطنية ورسمية كان خطوة مهمة نحو تحقيق العدالة اللغوية لكننا نعتقد أن التحدي الأكبر اليوم هو ضمان تفعيل هذا الإعتراف في التعليم والإعلام والإدارة حتى لا يبقى حبرا على ورق الحفاظ على الأمازيغية هو حفاظ على التنوع والوحدة في آن واحد .

¹ - مفيدة مقورة، المرجع السابق، ص 155.

² - مصطفى الأشرف، أعلام ومعالم مآثر عن جزائر منسية، المصدر السابق، ص 236،

³ - المصدر نفسه، ص 236 .

خلاصة الفصل:

في ختام هذا الفصل يمكن إستخلاص ما يلي :

يتناول مصطفى الأشرف في فكره مسألة اللغة العربية باعتبارها ركيزة أساسية للهوية الوطنية مؤكدا ضرورة تعريب التعليم والإدارة لتعزيز الإستقلال الثقافي شرط أن يتم ذلك دون تهميش للتنوع اللساني داخل المجتمع وفي ما يخص الإسلام يرى فيه مرجعية روحية جامعة ومصدرا للقيم التحررية لكنه يحذر من تسييسه أو إستغلاله لفرض وصاية فكرية، أما بخصوص الثقافة الوطنية فقد سعى إلى تفكيك الإرث الإستعماري الذي شوه الذات الجزائرية داعيا إلى إستعادة الثقافة الوطنية في سياق حدائي نقدي، وختاما يؤكد الأشرف في بحثه حول الأمازيغية أنها عنصر أصيل في الهوية الجزائرية، تستحق الإعتراف والدعم المؤسسي لا كتهديد للوحدة بل كرافد للتعدد الثقافي المنسجم مع المشروع الوطني الجزائري ا

الفصل الرابع: مشروع الثورة الجزائرية في فكر

مصطفى الأشرف

1- هل الثورة الجزائرية مجرد حرب؟

2- مفهوم الأمة

3- الاشتراكية الجزائرية

يشكل فكر مصطفى الأشرف حول مشروع الثورة الجزائرية مرآة لتصور عميق يحاول الإحاطة بجوانب متعددة من المسار الوطني، متجاوزا النظرة الأحادية إلى الحدث التاريخي، ففي كتاباته لا يختزل المشروع الثوري في بعد واحد بل يتوزع عبر جملة من القضايا الكبرى التي إرتبطت بالتحويلات التي عرفها المجتمع الجزائري خلال وبعد الثورة ويأتي في هذا الفصل ليسلط الضوء على جملة من المفاهيم التي تشكل بنية هذا المشروع كما رآه الأشرف باعتباره مفكرا حاول أن يعيد قراءة التجربة التحررية في ضوء رهانات بناء الدولة والمجتمع ومن بين هذه المفاهيم تبرز فكرة الأمة بما تحمله من دلالات سياسية وثقافية إلى جانب المسألة الثقافية التي تطرح بإلحاح إشكالية الهوية واللغة والانتماء الحضاري كما يحضر البعد الاجتماعي والاقتصادي في تصوره للإشترابية الجزائرية بما فيها من تطلعات لإعادة هيكلة المجتمع على أسس جديدة ويشكل تناول هذه المحاور مدخلا لفهم المنظور الفكري الذي يؤسس عليه الأشرف قراءاته للثورة وتداعياتها في السياق الوطني .

سنسعى في هذا الفصل إلى مقارنة مشروع الثورة الجزائرية في فكر مصطفى الأشرف من خلال تناول أربعة محاور أساسية : النظر في ما إذا كانت الثورة مجرد حرب وتحديد مفهوم الأمة كما يتصوره ثم إبراز مركزية المسألة الثقافية في مشروعه أخيرا تحليل تصوره للإشترابية الجزائرية كخيار وطني له جذوره الخاصة .

1_هل الثورة الجزائرية مجرد حرب ؟ :

لا شك أن موضوع "الفتح من نوفمبر 1954م" واستقطب العديد من الأفلام فكتب فيه المؤرخون والروائيون وأصحاب الشهادات الشخصية وتناولته الدراسات الأكاديمية والسرديات الأدبية بمختلف اللغات والزوايا غير أن هذه الكتابات كثيرا ما تختلف في تسمية تلك المرحلة المفصلية من تاريخ الجزائر، فالبعض يطلق عليها إسم " ثورة التحرير" وآخرون يسمونها "حرب التحرير أو حرب الإستقلال" فيما يكتفي البعض بوصفها "أحداث الجزائر أو حرب الجزائر" تنوع هذه التسميات لايعكس فقط إختلاف وجهات النظر بل يكشف أيضا عن عمق التباين في فهم طبيعة ما جرى بين "1954-1962م": هل كان الأمر مجرد صراع مسلح ضد القوة الإستعمارية ؟ أم أنه كان مشروعا تحرريا شاملا غير وجهة المجتمع الجزائري وفتح له أفقا جديدة ؟

من هنا يبرز سؤال جوهري يستحق التوقف عنده : هل كانت الثورة الجزائرية مجرد حرب ؟ أو كانت ثورة شاملة تحمل أبعاد سياسية، إجتماعية، ثقافية ؟ .

فالذين يزعمون أن ما حدث بين "1954-1962م" كان مجرد حرب تحرير أو حرب إستقلال نجد من بينهم "المؤرخ محمد العربي الزبيري" الذي عبر عن هذا الطرح في كتابه " الثورة الجزائرية في عامها الأول " بقوله : "هناك من يرى أن الثورة لا تكون إلا نتيجة صراعات طبقية، وبما أن ثورة نوفمبر قد شدت على كل ذلك فانه لا ينبغي أن تكون ثورة حرب تحريرية على أكثر تقدير".¹

من خلال هذا القول يظهر أن محمد العربي الزبيري يتبنى رؤية تحليلية تستند إلى المفهوم الكلاسيكي للثورة كما طرحته النظريات الماركسية والتي تربط الثورة "بالصراع الطبقي" داخل المجتمع الواحد²، وبما أن ثورة نوفمبر قامت ضد إستعمار خارجي ولم تكن نتيجة لصراع داخلي طبقي بين فئات المجتمع الجزائري فإن بعض المفكرين - كما ينقل الزبيري - يرفضون إعتبارها ثورة بالمعنى الكامل ويصفونها ضمن خانة " حرب تحريرية " وهو ما يعكس قراءة ضيقة لطبيعة الكفاح الجزائري ويختزل أبعادها المتعددة في بعد عسكري فقط.³

- أما يحي بوعزيز فيزعم أن أحداث الفاتح من نوفمبر هي " ثورة تحريرية " وذلك من خلال قوله : " ثورة نوفمبر هي ثورة تحريرية وتغيير جذري لكل هياكل الإستعمار ومؤسساته وسياسته وإيديولوجياته لقد حررت هذه الثورة البلاد والعباد من رقة الإستعمار وأستعاد الشعب الجزائري حريته واستقلاله وأرضه وما فيها وما عليها من خيارات والإمكانات الاقتصادية مكنته بعد ذلك من تسيير نفسه بنفسه وإدارة بلاده وفتحت أمامه الأبواب على مصرعيها لبني ويشيد مستقبله السياسي والإقتصادي والحضاري".⁴

من خلال هذا القول يتضح أن يحي بوعزيز لا ينظر إلى ثورة الفاتح من نوفمبر نظرة تقليدية باعتبارها مجرد تمرد مسلح ضد الإستعمار الفرنسي بل يقدم رؤية شاملة وعميقة تعتبر هذه الثورة تحولا جذريا في مسار

1 - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، 1984م، ص 17.

2 - المرجع نفسه، ص 17.

3 - نفسه، ص 17 .

4 - يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج3، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر - عين مليلة -، 2009م، ص 325.

التاريخ الجزائري فهي في نظره تمثل لحظة فاصلة أنهت قرونا الهيمنة الإستعمارية وإعادة للشعب الجزائري أرضه وسيادته بل كذلك كرامته ووعيه بذاته وقدرته على أن يكون فاعلا في صياغة مستقبله، فقد جسدت الثورة كما يراها بوعزيز مشروعا تحرر متكامل الأبعاد إستهدف تفكيك بنية الإستعمار وكان التحرير عنده لا يقتصر على التخلص من التواجد العسكري الفرنسي بل يشمل التحرر من التبعية الفكرية والثقافية ومن البنى التي أرساها الإستعمار لفرض السيطرة على الجزائر أرضا وشعبا.¹

أما عثمان سعدي فيؤكد أن ثورة الفاتح من نوفمبر هي ثورة شعبية شاملة وذلك من خلال قوله :
"إتطلقت الثورة يوم 1 نوفمبر 1954 وصدر في نفس اليوم بيان الثورة الذي وضع للشعب أن الثورة ليست ثورة حرب أو مجموعة، وإنما هي ثورة شعب بأسره"²، من خلال هذا الطرح يقدم عثمان سعدي تصورا واضحا لطبيعة ثورة الفاتح من نوفمبر بوصفها ثورة جماهيرية ذات طابع شامل تميزت عن غيرها من الحركات المسلحة، فهو يشدد على أن الثورة لم تكن فعلا معزولا قامت به نخبة أو مجموعة محددة من المناضلين بل كانت حركة تحرر وطني شارك فيها الشعب الجزائري بمختلف فئاته ومكوناته مؤمنا بعدالة قضيته ومنخرطا في نضال جماعي من أجل إسترجاع السيادة الوطنية والكرامة ويكمن جوهر هذا التصور في الإشارة إلى بيان أول نوفمبر الذي مثل الوثيقة التأسيسية للثورة الجزائرية حيث لم يكتفي هذا البيان بالإعلان عن بداية الكفاح المسلح بل وضع الأهداف السياسية للثورة والمبادئ التي قامت عليها وأكد أن الثورة ليست مغامرة عسكرية بل هي تعبير صادق عن إرادة شعب بأكمله قرر أن يتحرر من الإستعمار، هذا التصور يمنح الثورة طابعها الحقيقي كمشروع تحرر شعبي قائم على التمثيل الواسع والمشروع السياسي الواضح ويؤكد أن النصر لم يكن نتيجة قوة السلاح وحده بل ثمرة الوعي الجماعي والتعبئة الشعبية التي إمتدت إلى المدن والقرى في الداخل والخارج وعليه فإن عثمان سعدي يرى في ثورة الفاتح من نوفمبر نموذجا للثورات الشعبية الناضجة التي لا تنبع من نزعة عنف أو رغبة في السلطة بل من وعي وطني عميق وإرادة جماعية لتحرير الوطن وبناء دولة قائمة على السيادة والإرادة الحرة.³

¹ - يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 325.

² - عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، دار الأمة النشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 751.

³ - ، عثمان سعدي، المرجع السابق، ص 751.

وفيما يخص رأي الكاتب والمثقف مصطفى الأشرف بخصوص ثورة الفاتح من نوفمبر فإنه يتجاوز النظرة السطحية التي تختزلها في مجرد حرب تحرير، إذ يتضح بجلاء أن أحداث الفاتح من نوفمبر لم تكن مجرد حرب بالمعنى العسكري الضيق بل كانت مشروعاً تحريراً متكامل الأبعاد له عمقه السياسي والاجتماعي والإنساني، فالأحداث حسبه لم تكن معزولة عن المجتمع أو مقصورة على نخبة معينة بل أنها جذبت بالتدريج مختلف فئات الشعب بما في ذلك من كانوا في البداية بعيدين عن السياسة أو غير مهتمين بها، وهو ما يعكس قوة التجاوب الشعبي مع النداء الثوري وع تطورها أصبحت كيانا قائما بذاته يعمل على إعادة ترتيب الأولويات الوطنية حيث سعت إلى ترجيح العناصر الداخلية المرتبطة بالهوية الجزائرية والمغربية على أي تأثيرات أو قوى خارجية.¹

هذه الحرب حسبه لم تكن عبثية أو مجرد رد فعل عنيف، بل كانت نضالا وطنيا من أجل إنتصار القومية الجزائرية وقد إستقطبت فئات واسعة من الفلاحين المرتبطين بالأرض إلى جانب وطنيين واعين بأهمية الهوية الجزائرية في مسار النضال ومدركين للتحديات التي سيواجهونها داخليا رغم تطلعهم إلى دعم خارجي يعزز موقفهم، في هذا السياق تبرز الثورة كحركة سياسية وإجتماعية ذات أهداف واضحة تتجاوز المواجهة المسلحة إلى مشروع تحرري شامل حمل آمال شعب بأكمله وواجه في مساره تحديات كبيرة تستدعي دائما العودة إلى جذوره ومبادئه الأولى.²

بناء على المواقف المختلفة التي تم تناولها في هذا المبحث يتبين لنا أن ثورة أول نوفمبر 1954م لا يمكن إختزالها في مجرد حرب تحرير عسكرية بل هي ثورة وطنية شاملة بكل المقاييس جمعت بين البعد العسكري والسياسي والاجتماعي والثقافي وعبرت عن وعي جماعي وإرادة شعبية عميقة في التحرر من الإستعمار بكل أشكاله، فهي لم تكن فقط حربا بالبندقية بل كانت صرخة وجود وإرادة بناء ورؤية لمستقبل مختلف وعليه فإن وصفها ب "مجرد حرب" هو تبسيط مخل لا يفي هذه اللحظة التاريخية حقها ولا يعكس عمقها الثوري والتحرري بل إن هذه الثورة شكلت بالنسبة للجزائر لحظة ميلاد جديد تجاوزت فيها حدود الصراع المسلح لتتحول إلى مشروع وطني شامل أراد أن يعيد للجزائريين مكانتهم كفاعلين في التاريخ بعد عقود من التهميش

¹ - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، المصدر السابق، ص 190.

² - المصدر نفسه، ص 190.

والإقصاء حيث أعادت بناء الثقة بين الشعب وتاريخه كما مهدت الطريق أمام تحولات عميقة مست الشعب الجزائري في ثقافته، ووعيه السياسي، وطموحاته المستقبلية .

2_ مفهوم الأمة :

تكاد القضية التي تشغل فكر مصطفى الأشرف في كتابه " الجزائر: الأمة والمجتمع" إبراز الطابع المميز للجزائر كأمة مكتملة التكوين، إذ يسعى من خلال هذا العمل إلى طرح إشكالية الأمة الجزائرية ضمن سياق فكري وتاريخي يعالج كيفية تشكيلها وتبلورها عبر الزمن متوقفاً عبر خصوصياتها الثقافية والإجتماعية والسياسية .

ينظر مصطفى الأشرف إلى مفهوم الأمة الجزائرية على أنها مسألة وجودية ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالهوية والكيان السياسي المستقل حيث يؤمن أن جوهر القضية الجزائرية لا يمكن فصله عن الاعتراف الكامل بالأمة الجزائرية كشعب موحد له خصوصيته التاريخية والثقافية والسياسية، فالأمة بالنسبة له ليست مجرد جماعة بشرية تعيش على رقعة جغرافية معينة بل هي كيان حر يتمتع بشخصية خاصة تتجلى في ثقافته ومؤسساته وإرادته الجماعية في تقرير مصيره حيث يؤكد أن حل الأزمة التي كانت قائمة في ظل الاحتلال الفرنسي لا يمكن أن يتحقق إلا بتكريس هذا الاعتراف أي الإقرار بالأمة الجزائرية كشخصية سياسية مستقلة تمتلك حكومتها ومؤسساتها السيادية ويبرز ذلك من خلال قوله: " لا يمكن حل المسألة الجزائرية حلاً حاسماً وسلمياً، إلا بالاعتراف الرسمي بكيان الأمة الجزائرية الحرة وشخصيتها الخاصة وحكومتها الوطنية ومجلسها، هذا مع إحترام الجميع " .¹

كما يعالج الكاتب مصطفى الأشرف مفهوم الأمة من زاوية تاريخية محاولاً إثبات أن الجزائر كانت تمتلك مقومات الأمة قبل الاحتلال الفرنسي لها سنة 1830م بالرغم من أن المؤرخين الإستعماريين والليبراليين الفرنسيين أنكروا ذلك، إما عن جهل أو عن قصد، حيث يصرح أنه: "مهما تصورنا الكيان الجزائري كأمة متمثلة في دولة، أو كأمة متمثلة في شعب، أو كمجرد وطن قومي موحد الكلمة، فإن الجزائر قد توفر فيها عامل أساسي جعلها تصمد طيلة 130 سنة أمام دولة إمبريالية قوية وترغمها على الرجوع

¹ - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، المصدر السابق، ص 191.

للحق¹. "فهو يؤمن أن الأمة لا تتحد فقط بالمعايير المؤسساتية كما يفعل الغرب بل يمكن أن تتجلى في وعي جماعي شعبي يملك من القوة ما يكفي لمجابهة قوى إستعمارية كبرى فالكفاح ضد هذا الإستعمار هو ما كشف حقيقة هذا الكيان الوطني وأثبت أن الجزائر ليست مجرد مستعمرة بل أمة حية لها شخصية وهوية خاصة، ويبرز أن هذا الكيان الوطني قد ظل متماسكا رغم محاولات الطمس الإستعماري بل وتمكن من فرض نفسه على الواقع التاريخي والسياسي².

كما يستعين مصطفى الأشرف بالتجربة الأوروبية وتحديدًا الفرنسية ليبين أن نشوء الأمة لا يشترط أن يكون وفق نمط مؤسساتي جاهز بل هو مسار تاريخي يتشكل تدريجيا في وعي الشعوب حتى قبل أن يتم الاعتراف به رسميا، وفي هذا السياق يعرض إقتباسا للمؤرخ الفرنسي "لوسيان فير" كيف أن فكرة الأمة في فرنسا لم تتبلور فجأة بل مرت بمراحل تطور تدريجية بين منتصف ونهاية القرن 18م، حيث ينقل مصطفى الأشرف هذا النموذج الفرنسي إلى السياق التاريخي فيسأل بتعجب وإستنكار : "لماذا لا نطبق هذا المنطق على الجزائريين أيضا ؟ ألم تكن فكرة الأمة تخامر أذهانهم حتى قبل الإحتلال الفرنسي ؟". هذا التساؤل يشكل قلب أطروحة الأشرف فالأمة حسبه لم تكن وليدة اللحظة الثورية فحسب بل كانت كامنة في ضمير المجتمع وقد عبرت عن نفسها في المقاومة والرفض المشترك للمستعمر، مما يؤكد أنها لم تكن غائبة أو في طور التشكل فقط بل كانت موجودة فعليا بروحها الجماعية وتشبثها بالهوية الوطنية³.

بينما يرى مصطفى الأشرف أن الأمة الجزائرية كيان تاريخي وثقافي متجذر ومشروع وطني تبلور عبر مقاومة الإستعمار وتراكم الوعي الجماعي فإن جماعة النخبة الجزائرية في بداية القرن العشرين وخاصة جماعة الإدماج لم تكن تشارك هذا التصور، إذ لم تكن تؤمن بوجود أمة جزائرية مستقلة بذاتها بل كانت ترى في الجزائر إمتدادا لفرنسا أرضا وسكنا وتركز طموحها على الإندماج داخل الجمهورية الفرنسية الديمقراطية وقد تجلّى هذا الموقف في خطابات شخصيات بارزة من تلك النخبة مثل فرحات عباس، ابن جلول حيث أنكروا بشكل صريح وجود أمة جزائرية ويظهر هذا الموقف بوضوح في مقال فرحات عباس الشهير "فرنسا أنا" حيث كتب : "لو كنت إكتشفت الأمة الجزائرية لكنت وطنيا، ولن أخجل من ذلك كما يخجل من جرمته،

1 - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، المصدر السابق، ص 191.

2 - المصدر نفسه، ص 191.

3 - نفسه، ص 191.

ومع ذلك فلن أموت من أجل الوطن الجزائري، لأن هذا الوطن غير موجود لم أكتشفه" ¹. هذا القول يعكس فهما يركز على غياب الإحساس بوجود كيان وطني مستقل ويختلف جوهريا عن تصور مصطفى الأشرف الذي يرى أن الأمة الجزائرية قد ولدت في رحم المقاومة الشعبية وتبلورت كحقيقة تاريخية فرضها النضال ضد الإستعمار الفرنسي .

بعد أن أنكرت هذه النخبة قبل الحرب العالمية الثانية وجود وطن جزائري أو أمة جزائرية في تاريخها نجدها في الأربعينات وبسبب الظروف السياسية الجديدة تتبنى مفهوما مغايرا للأمة ليس إستنادا إلى التاريخ أو الثقافة أو النضال بل كوسيلة سياسية تهدف إلى الحفاظ على التواجد الفرنسي في الجزائر وقد عبر فرحات عباس عن هذا التصور في بيان الشعب الجزائري بقوله: " من الآن فصاعدا ستعيش وتتطابق جزائران : الجزائر المستعمرة الفرنسية، الأوروبية كاملة، والجزائر المسلمة الخاصة بالعرب والبربر". هذا التصور يظهر أن فكرة الأمة هنا لم تكن تعني الإستقلال أو القطيعة مع فرنسا بل كانت سياسة لتبرير إستمرار العلاقة الإستعمارية وهو ما يتعارض مع تصور مصطفى الأشرف الذي يرى في الأمة الجزائرية وحدة لا تقبل الإزدواج أو التعايش تحت الهيمنة الإستعمارية . ²

واصل فرحات عباس تبني تعريف ذاتي للأمة الجزائرية يستند إلى مبدأ " الرغبة في العيش المشترك" بين مختلف مكونات المجتمع دون إعتبار للغة أو الدين أو الأصل العرقي، مستلهما في ذلك نموذج الأمة السويسرية متعددة الأعراق واللغات، هذا الفهم يقوم على الرؤية التي قدمها إرنست رينان والتي تجعل من الإرادة الجماعية والتضامن المشارك أساسا لقيام الامة، وقد عبر فرحات عباس عن هذا التصور خلال عرضه لأهداف أحباب البيان والحرية حيث دعا إلى "ترويج فكرة إنشاء دولة جزائرية وتأسيس جمهورية مستقلة مرتبطة بروابط فيديرالية مع جمهورية فرنسية جديدة مناوئة للإستعمار، وخلق روح تضامن بين اليهود والمسلمين والمسيحيين وبث شعور المساواة والرغبة في التعايش في السراء والضراء" ³، هذا التصور وإن بدأ أقرب إلى

¹ - مجيد مسعودي، مسألة الهوية في برامج الحركة الوطنية الجزائرية 1926م-1954م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، قسم التنظيم السياسي والإداري، 2017م-2018م، ص 245.

² - المرجع نفسه، ص 247.

الحداثة والانفتاح، إلا أنه يبقى مناقضا لتصور مصطفى الأشرف الذي يربط الأمة الجزائرية بمسار نضالي تحرري وبهوية ثقافية وتاريخية متجذرة لا يمكن فصلها عن سياق مقاومة الإستعمار وبناء كيان وطني مستقل.¹

وحسب رأينا فإن هذا التعريف الذي تبنته جماعة النخبة وعلى رأسهم فرحات فباس والقائم على الحياة المشتركة والتعايش بين مختلف فئات المجتمع لا يعكس حقيقة الواقع الإستعماري الذي كانت تعيشه الجزائر آنذاك، فالشعور بوحدة المصير الذي تحدث عنه فرحات عباس ظل في العمق مفصولا عن معاناة الشعب الجزائري اليومية لأن الإستعمار الفرنسي لم يكن مستعدا لقبول هذا النوع من التعايش بل كان يرفضه من أساسه إذ ظل يعامل الأهالي كطبقة دونية محرومة من الحقوق السياسية والإنسانية كما أن الجزائريين أنفسهم الذين عانوا القهر والتهميش لم يكونوا مستعدين لقبول بفكرة التعايش السلمي مع مستعمر إستباح أرضهم وكرامتهم، ويؤكد هذا الطرح ما جاء في كتاب " معذبوا الأرض " لفرانتز فانون الذي وصف العلاقة بين المستعمر والمستعمر وصفا يبين إستحالة أي إندماج أو تعايش بين الطرفين²، وبالتالي فإن مشروع الأمة عند فرحات عباس بدا عقلانيا من حيث الشكل فإنه يتجاهل البنية الإستعمارية العنيفة التي لا تسمح بقيام وطن مشترك، وهو ما فهمه مصطفى الأشرف جيدا حين ربط وجود الأمة الجزائرية بالتحرر الكامل لا بالتفاوض أو التعايش تحت سقف الإستعمار .

أما مفهوم الأمة الجزائرية لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد بني على أسس دينية ولغوية وحضارية توطر الهوية الوطنية ضمن مرجعية إسلامية عربية فقد سعت الجمعية من خلال هذا التصور إل تثبيت الشخصية الجزائرية في وجه محاولات الطمس والفرنسة التي إنتهجها الإستعمار الفرنسي، فالأمة الجزائرية في منظور جمعية العلماء المسلمين ليست مجرد كيان سياسي بل هي جماعة بشرية موحدة بالدين الإسلامي واللغة العربية والموروث الثقافي والحضاري المشترك، ما يجعلها أمة متميزة في خصائصها وخصوصياتها، وقد عبرت الجمعية عن هذا التوجه في المادة 66 من قانونها الداخلي حيث نصت على أن الجزائر: " أمة إسلامية عريقة في إسلامها، فالإسلام هو دينها الذي تتفاخر به، وميراثها الخالد، واللغة العربية لغة كتابها ومستودع آدابها وحكمتها " وإستنادا إلى هذا التصور بلورت الجمعية شعارها الشهير " الإسلام ديننا، العربية لغتنا،

¹ - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، المصدر السابق، ص 190.

² - فرانتز فانون، معذبوا الأرض، تر: سامي الدروبي، ط2، مدارت للأبحاث والنشر، القاهرة، 2015م ص: 41-42.

الجزائر وطننا . " وبهذا الطرح أعادت الجمعية تأكيد مقومات الأمة على أسس أصيلة مخالفة بذلك الطروحات الإستعمارية التي أنكرت وجود أمة جزائرية مستقلة عن فرنسا في الهوية والانتماء .¹

3_ الإستراتيجية الجزائرية :

عقب نيل الجزائر لإستقلالها عام 1962م وجدت الدولة نفسها أمام مهام جسيمة تتطلب إعادة بناء شامل لمؤسساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بعد أن خلف الإستعمار وراءه إقتصادا هشاً ومجتمعاً مثقلاً بالتفاوتات والفقر والتهميش وقد فرض هذا الواقع على صناع القرار البحث عن نموذج تنموي قادر على تلبية تطلعات الشعب الجزائري الذي خرج من تجربة إستعمارية طويلة حاملاً آمالاً كثيرة في التحرر والعدالة والمساواة، في ظل هذه التحولات الكبرى طرحت تساؤلات جوهرية حول هوية الدولة الجديدة ومسارها الاقتصادي والاجتماعي ليرز في هذا السياق خيار الإستراتيجية كتصور متكامل لإعادة تنظيم المجتمع وتحقيق التنمية الوطنية الشاملة لذا فإن الحديث عن الإستراتيجية في الجزائر لا يمكن فصله عن السياق التاريخي والسياسي الذي تشكلت فيه وعن الوثائق المرجعية التي أسست له وفي مقدمته "ميثاق طرابلس 1962م" الذي شكل نقطة التحول في رسم معالم هذا التوجه لكن قبل التطرق إلى كيفية تجلي الإستراتيجية في هذا البرنامج السياسي من الضرورة أولاً توضيح المقصود بالإستراتيجية كمفهوم .

3-1/ مفهوم الإستراتيجية :

3-1-1/ المعنى اللغوي :

كلمة الإستراتيجية مأخوذة من "الإشتراك"، حيث يقال :إشترك القوم في كذا : أي تشاركوا، كما جاء في " لسان العرب " إشتراكنا : بمعنى تشاركنا، وفي حديث معاذ أنه أجاز بين أهل اليمن الشرك : أي الإشتراك في الأرض، وهو أن يدفعها صاحبها إلى الآخر بالنصف أو الثلث أو نحو ذلك، وفريضة مشتركة : يستوي فيها المقتسمون، وطريق مشترك : يستوي فيه الناس، وإسم مشترك : تشترك فيه معان كثيرة، وروي عن النبي

¹ - مجيد مسعودي، المرجع السابق، ص174.

صلى الله عليه وسلم أنه قال : الناس شركاء في ثلاث الكلا والماء والنار، وأشرك بالله : أي جعل له شريكا في ملكه .¹

3-1-2 المعنى الإصلاحي :

مصطلح الاشتراكية هو المقابل العربي للمصطلح الغربي "SociaLisme" وقد جاء في دائرة المعارف الكونية : "تتخذ كلمة الاشتراكية في التاريخ معاني متعددة، هي متعددة حسب التيارات، ومتعددة حسب الأزمنة أيضا، لكن الاشتراكية على تنوعها تتلقى في كونها مذهب يرفض إستغلال الإنسان للإنسان والملكية الفردية للمؤسسة الصناعية والزراعية والتجارية ويبني سعادة الإنسان على جعل الثروات كلها مشاعية".²

يعرفها الاشتراكي الإنجليزي " برتران رسل" بقوله : " الاشتراكية هي إشتراك المجتمع في ملكية الأرض ملكية اشتراكية، وفي رأس المال، في ظل نظام حكم ديموقراطي، ويترتب على هذه الاشتراكية توجيه الإنتاج توجيهها يجعله إنتاجا للإستهلاك لا للربح، ويترتب على هذه الاشتراكية أيضا توزيع الناتج على الجميع، وإذا بقي ثمة من تباين أو إختلاف في الحظوظ فيجب أن تبرره المصلحة العامة".³

أستخدم لفظ الاشتراكية بمعناه الحديث لأول مرة في عام 1827م في " مجلة التعاون البريطانية" لكي يشير إلى الإلتجاهات المعارضة للفردية المتحررة، ثم أستخدم هذا اللفظ في ثلاثينيات القرن 19 في كل من " إنجلترا وفرنسا" لوصف أفكار كل من "روبرت أوين" و" سان سيمون".⁴

¹ - أحمد منغور، اليسار الفرنسي والثورة الجزائرية 1954م-1962م : الحركة الاشتراكية بمنطقة الشرق الجزائري نموذجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2عبد الحميد مهري، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، 2017م-2018م، ص 32-33.

² - فوزية الشطي، مفهوم الاشتراكية في فكر البعث، سلسلة البحوث الجامعية، جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منشورات الطليعة، تونس، 2007م-2008م، ص3.

³ - جورج بورجان، بيار رامبير، هذه هي الاشتراكية، تر : محمد عيتاني، دار بيروت للنشر، بيروت، 1952م، ص 11.

⁴ - صبرينة بودريوع، الحياة الاجتماعية في ظل النظام الاشتراكي بالجزائر، المرحلة البومدينية نموذجا 1965م-1978م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، 2011م-2012م، ص 82.

بينما يعرفها الأستاذ عبد الله شريط على أنها : " مقاومة إستغلال الإنسان للإنسان وتحديد الملكية الخاصة إلى حدود لا تستطيع معها أن تمارس هذا الإستغلال، وتشجيع الملكية الجماعية بإعتبارها هي أداة المساواة الحقيقية بين المواطنين لأنها لا تجعل أحدا تحت رحمة والعناية بالجماهير الشعبية قبل يرها لأنها من حيث العدد في كل أمة هي القوة المنتجة لكل الخيرات، وهي المحرومة منها في نفس الوقت، ومقاومة الطبقية التي تخلق مستويات مختلفة بين أبناء الأمة وتدفعها إلى التناحر غير المتكافئ إذ تملك الفئة الغنية كل وسائل التغلب على الفئة الفقيرة رغم قلة تلك وكثرة هذه".¹

تقوم الاشتراكية من الناحية الإقتصادية على أساس سيطرة المجتمع وتحديد الطبقة العاملة على وسائل الإنتاج وتوزيع الثروات فهي تسعى لإلغاء الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج الكبرى، وتقوم بتوزيع الموارد بشكل عادل يضمن تلبية حاجات جميع أفراد المجتمع ألا تحقيق الربح لفئة معينة بذلك يعاد تنظيم الإقتصاد على أسس العدالة والمساواة، بحيث يصبح العمل الإنساني هو القيمة الأساسية وليس رأس المال أو الربح . ومن الزاوية السياسية تقوم الاشتراكية على السيادة الإقتصادية لليد العاملة المنتجة، فالعاملون المنتجون هم أصحاب السلطة الحقيقية والمواطنون العاملون يمثلون الإرادة العاملة للدولة الاشتراكية،² فالإشتراكية من هذا المنطلق ترفض إستبداد الفرد والطبقة كما ترفض إستبداد الدولة لأنها نظام إنساني أساسه الإنسان نفسه، يقوم على العدالة والحرية والمساواة، فالإشتراكية لا تسعى فقط إلى تحقيق المساواة النظرية، بل تؤمن بتكافؤ الفرص وتعمل على رفع المجتمع بأكمله وتفتح المجال أما الإبداع والتميز لكل أفراد .

3-1-3/ مفهوم الاشتراكية في الإسلام :

تقوم الاشتراكية في الإسلام على مفهوم العدالة الإجتماعية من جهة، وعلى تعريف خاص للملكية بشكليها الفردي والجماعي من جهة أخرى، فالإشتراكية في التاريخ الإسلامي تركز على شراكة خاصة تقوم على العدالة والمساواة وهي مبدأ يستمد من تعاليم الدين الإسلامي، وقد تجسدت هذه الإشتراكية بوضوح في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من خلال تطبيق عملي لقيم المساواة والتكافل والتعاون، وهي قيم لم

¹ - حياة رحايلي، الإسلام والإشتراكية في مشروع الثورة الجزائرية نظريا وممارسة، المرجع السابق، ص 58 .

² - جمال الأتاسي، الإشتراكية بين ماضيها ومساقبلها، منشورات الطليعة، تونس، 1989م، ص 6 .

تكن معهودة في المجتمعات الأخرى ومن الأمثلة البارزة على ذلك حادثة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار حيث جعل النبي صلى الله عليه وسلم لكل مهاجر أنصاريا يشاركه السكن والمال وكل ما يملك في نموذج فريد للتضامن الاجتماعي، وقد إستمر هذا النهج في عهد الخلفاء الراشدين إذ شن الخليفة أبو بكر الصديق حروب الردة دفاعا عن أحد أعمدة النظام الاجتماعي الإسلامي وهي الزكاة التي تمثل مبدأ أساسي لإعادة توزيع الثروة والحد من الفوارق الطبقية، كما واصل عمر بن الخطاب ثم عمر بن عبد العزيز على هذا التوجه فطبقوا نظاما عادلا للزكاة لم يستثن منه أحد رافضين أي محاولة للتهرب منه في إطار رؤية إسلامية ترسخ العدالة وتحارب الإحتكار والإمتيازات.¹

أما في ما يخص الملكية سواء كانت فردية أو جماعية، فإن الإسلام ينظر إليها من زاوية التكامل لا التناقض، فالقرآن الكريم لا يحرم الملكية الفردية بل يمنحها قيمة توازن في أهميتها الملكية الجماعية حيث أقر الإسلام بحق الفرد في التملك بل ودعاه إلى السعي والعمل من أجل تحصيل الرزق² كما جاء في قوله تعالى: "هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور".³ وجاء أيضا في قوله تعالى: "وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون لتأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون".⁴ كما تتجلى أيضا قيمة السعي المشروع في الإسلام كما جاء في قوله تعالى: "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى"⁵، مما يرسخ مبدأ أن ما يكتسبه الإنسان من عمله هو حق مشروع له ما دام ملتزم بالوسائل الشرعية، وفي هذا السياق لا يعارض الإسلام وجود ثروات خاصة أو عامة بل يعترف بشرعيتها إذا ما إلتزمت حدود العدل وحقوق الجماعة غير أنه يحذر من إكتناز الأموال وجمعها في يد فئة قليلة، وقد عبر القرآن عن هذا التحذير في قوله تعالى: "والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم"⁶، في إشارة إلى أن المال في الإسلام يجب أن يوظف في

¹ - حياة رحايلي، الإسلام والإشتراكية في مشروع الثورة الجزائرية نظيرا وممارسة، المرجع السابق، ص 184.

² - مختار عريب، مفهوم الدولة الإشتراكية الجزائرية، مجلة الحوار الفكري، جامعة الجزائر، 08(2006م)، ص126.

³ - سورة الملك، الآية: 15.

⁴ - سورة يس، الآية: 34-35.

⁵ - سورة النجم، الآية: 39-40.

⁶ - سورة التوبة، الآية: 34.

خدمة الفرد والمجتمع ضمن إطار العدالة الاجتماعية، وفي إطار هذا التصور المتوازن يتضح أن الإسلام يقدم نموذجا خاصا من الاشتراكية، بحيث لا يقوم على إلغاء الملكية الفردية أو فرض التوزيع القسري للثروات، بل على تحقيق العدالة الاجتماعية عبر ضبط الملكية وتوجيهها نحو الصالح العام، ويعد هذا التكامل بين المملكتين من أبرز خصائص الرؤية الاقتصادية الإسلامية حيث حقق إجماعا نظريا واسعا بين المسلمين ولم يطرح بصده من أي إشكال وذلك بفضل روح الإسلام الذي يوفق بين المتناقضات ويؤسس لتكاملها دون أن يلغي أحدهما الآخر، فالإسلام في جوهره دين توازن وتكامل لا صراع وتناقض وهو ما ينعكس بوضوح في تصوره للملكية والثروة والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية عموما.¹

بعد التطرق إلى مفهوم الاشتراكية من حيث التعريفين اللغوي والإصطلاحي، ثم من خلال الرؤية الإسلامية القائمة على العدالة الاجتماعية يصبح من المهم الوقوف عند كيفية تجسيد هذه المفاهيم في التجربة الجزائرية وتحديدًا في برنامج طرابلس 1962م الذي شكل مرجعية فكرية وسياسية للدولة الجزائرية غداة الإستقلال فقد تبني هذا البرنامج الخيار الاشتراكي كإطار لبناء الدولة الجزائرية المستقلة بإعتباره السبيل الأمثل لتحقيق العدالة الاجتماعية، ومواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية التي خلفها الإستعمار وعليه فقد تم ذكر لفظ الاشتراكية لأول مرة في نص رسمي ضمن ميثاق طرابلس الذي وضع الخطوط العريضة لبناء نظام إقتصادي جديد يتماشى مع تطلعات الشعب الجزائري ويعبر عن سيادته على ثرواته، عالج هذا البرنامج الواقع الإقتصادي للجزائر بعد الإستقلال، محددًا معالم التنمية المنشودة في عدة مجالات أبرزها " الإصلاح الزراعي، إستغلال الثروات الطبيعية والطاقة والمعادن وتنظيم التجارة والإستثمارات"، ففي الجانب الزراعي إرتبط تنفيذ الإصلاح الزراعي بالدعم الفرنسي الذي تمثل في تعويضات موجهة للفلاحين الفرنسيين المهةدين بفقدان أراضيهم نتيجة هذا الإصلاح، حيث سعت الجهود التنموية في القطاع الفلاحي إلى تغيير واقع الفلاح الجزائري الذي عانى البؤس خلال الفترة الإستعمارية، كما هدفت إلى إعادة تشكيل صورة الفلاح وقد أعطيت

¹ - مختار عريب، المرجع السابق، ص 127.

لهذه الجهود صبغة " ثورة زراعية" تمحورت حول 3 محاور أساسية " إصلاح زراعي، تحديث أساليب الزراعة، والحفاظ على الإرث العقاري " ¹.

في إطار التوجه الاشتراكي الذي تبناه برنامج طرابلس شدد على ضرورة مباشرة الإصلاح الزراعي إنطلاقاً من مبدأ ساسي يتمثل في " أحقية العامل الفلاحي بالأرض التي يزرعها" ولتحقيق هذا الهدف تم وضع مجموعة من المبادئ التي تؤطر هذا الإصلاح، أهمها :

- 1/حظر جميع المعاملات والصفقات المتعلقة بالأراضي الزراعية ووسائل الإنتاج المرتبطة بها .
- 2/ضبط حجم الملكية حسب نوع المزروعات وكمية الإنتاج لضمان عدالة التوزيع .
- 3/إسترجاع الأراضي دون مقابل وتوزيعها على الفلاحين المحرومين أو الذين لا يمتلكون ما يكفي لسد حاجاتهم .
- 4/تنظيم الفلاحين في تعاونيات إنتاج تسير وفق أساليب ديموقراطية .
- 5/إنشاء مزارع تابعة للدولة فوق جزء من الأراضي المسترجعة، مع إشراك العمال في إدارتها والاستفادة من عائداتها لتكون هذه المزارع أداة لتسهيل التوزيع في الأسواق ومنطلقاً لتكوين الكفاءات والإطارات في المجال الفلاحي ².
- 7/إلغاء الديون والرسوم التي كان يفرضها الملاك العقاريين والمرابون وبعض الهيئات العمومية على الفلاحين .
- 8/توفير الدعم المالي والمادي من طرف الدولة للفلاحين لضمان نجاح الإصلاح الزراعي وتنميته .

أما في الميدان الصناعي، فقد إعتبر برنامج طرابلس أن التصنيع يشكل أداة محورية لتحقيق التنمية الوطنية إذ لا يمكن بناء إقتصاد فلاحي متقدم دون قاعدة صناعية متينة تدعمه وتتكامل معه، فالجزائر بما تملكه من

¹ - عبد الوهاب أوسليم، مؤتمر المجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس ماي -جوان 1962م" الأسباب، الجريات، القرارات"، مجلة دراسات حول الجزائر والعالم، جامعة تيارت، 01(2013م)، ص 162 - 163.

² - وثائق تتعلق بالتسيير الذاتي، إ ع : قسم الوثائق والمنشورات بوزارة الأنباء بمشاركة المكتب الوطني لإنعاش القطاع الاشتراكي، مطبعة البعث، قسنطينة، د س ن، ص 8.

إمكانيات طبيعية وبشرية مؤهلة لتشييد صناعة حديثة تشمل مختلف القطاعات " كالصناعات التحويلية والنفطية والمعدنية" مع التركيز على إنشاء مصانع إستراتيجية مثل مصانع الإسمنت والفوسفات التي ترتبط في كثير من الأحيان بالإحتياجات الفلاحية والإنشائية¹.

إعترف البرنامج بوجود قطاعين صناعيين " عام وخاص " فالقطاع العام وجب دعمه وتوسيعه لا سيما في المجال المنجمي حيث أوصى البرنامج بتنميته بشكل يتماشى مع الأهداف الوطنية، أما بالنسبة للقطاع الخاص فقد تم النظر إليه كحل مؤقت إذ تعامل معه البرنامج بنوع من الحذر مع إبداء رغبة في الإستفادة منه خلال المرحلة الإنتقالية لتسريع وتيرة التصنيع بشرط أن يوجه ضمن الإطار العام الذي ترسمه الدولة وجاء في البرنامج بهذا الخصوص: " خلال المرحلة أين سيكون من الضروري الإبقاء على قطاع خاص فإن المبادرة الخاصة ستوجه صوب الإطار العام لمشروع التصنيع ... لن تساهم الدولة في إنشاز قاعدة صناعية لمصلحة البورجوازية كما حدث في عدة بلدان "².

ومن هذا المنطلق شدد البرنامج على أهمية التحكم الوطني في الثروات الصناعية وإستغلالها بوسائل ذاتية عبر تكوين المهندسين والتقنيين المؤهلين وتقليص الإعتماد على الأجانب كما شجع على المبادرات في إطار مؤسسات مختلطة تضمن التوازن بين القطاعين العام والخاص، ولأجل تحقيق إنطلاقة صناعية فعالة أوصى البرنامج بإعطاء الأولوية لتحسين الصناعات التقليدية وتطوير وحدات صناعية محلية تستثمر في الموارد الطبيعية المتاحة وتتكامل مع التوجيه الفلاحي بما يساهم في خلق توازن بين القطاعات وتكاملها في إطار إستراتيجية وطنية شاملة للتنمية³.

أما في الميدان التجاري فقد شدد البرنامج على ضرورة الإنفتاح على السوق العالمية وتوسيع نطاق التبادل التجاري مع مختلف الدول بما في ذلك فرنسا ولكن ضمن إطار يضمن السيادة الاقتصادية ويحمي مصالح الجزائر، ومن هذا المنطلق دعى البرنامج إلى إنهاء العمل بالنظام التفضيلي الذي كان يربط الجزائر

¹ - النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 1954م " نداء أول نوفمبر، مؤتمر الصومام، مؤتمر طرابلس "، منشورات ANEP، الجزائر، 1962م، ص 95-94.

² - عبد الوهاب أوسليم، المرجع السابق ص 163.

³ - النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 1954م " نداء أول نوفمبر، مؤتمر الصومام، مؤتمر طرابلس، " المرجع السابق، ص 95.

بفرنسا لما يمثله من عائق أمام بناء علاقات تجارية متوازنة ومستقلة، كما شدد على تعزيز دور القطاع العام في النشاط التجاري بهدف تشكيل قوة إقتصادية قادرة على كسر هيمنة الاحتكار والتصدي لظواهر الإستغلال مع الدفع نحو تنظيم السوق بما يخدم التنمية الوطنية ويضمن عدالة توزيع الموارد.¹

بعد أن تم ترسيخ الخيار الاشتراكي بشكل واضح في برنامج طرابلس لسنة 1962م جاء " دستور الجزائر لسنة 1976م ليمنح هذا التوجه بعدا قانونيا ويضفي عليه طابعا إلزاميا بوصفه مرجعية عليا للدولة والمجتمع، وقد عكس هذا الدستور بوضوح رؤية الرئيس " هواري بومدين" لمجتمع إشتراكي متحرر من كل أشكال الإستغلال الطبقي، ومبني على العدالة وتكافؤ الفرص في إنسجام تام مع مبادئ الثورة الجزائرية، وهكذا نص الدستور في مقدمته على هذا التوجه الإشتراكي بعبارات واضحة ورد فيه : " لقد إستعاد الشعب الجزائري إستقلاله بعد كفاح طويل، وحرب تحرير خاضها بقيادة جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني، فكانت حربا ضاربة سيخلدها التاريخ ملحمة من ملاحمه الكبرى التي ميزت إنبعاث شعوب العالم الثالث ومنذ الإستقلال إندفع الشعب بكل حزم في بناء الدولة وتشبيد مجتمع جديد أساسه القضاء على إستغلال الإنسان للإنسان، وغايته إزدهار شخصية الفرد وترفيه الجماهير في إطار الإختيار الإشتراكي ".² يتضح هنا أن الإشتراكية لم تكن خيارا عارضا، بل هي إمتداد طبيعي لنضال الشعب الجزائري ضد الإستعمار ووسيلة لإعادة بناء مجتمع أكثر عدلا وإنصافا، ويعزز هذا التوجه ماورد في المادة 28 من الدستور التي تنص على أن : " هدف الإشتراكية الجزائرية هو التغيير الجذري للمجتمع على أساس مبادئ التنظيم الإشتراكي "، وهو ما يبرز بوضوح الطموح نحو تحول شامل في بنية المجتمع يتجاوز الإصلاحات الجزئية، ليشمل إعادة هيكلة شاملة لعلاقات الإنتاج والتوزيع والتسيير وفق منطق إشتراكي متجذر.³

أما على المستوى الإقتصادي فقد نصت المادة 14 من الدستور على أن : " الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج هي القاعدة الأساسية التي يقوم النظام الإقتصادي الوطني وهي تشمل الأرض، المناجم، المصادر

¹ - عبد الوهاب أوسليم، المرجع السابق، ص 163.

² - دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية " إتفاقيات دولية، قوانين أوامر ومراسيم، قرارات، مقررات، منشور، إعلانات وبلاغات"، الجزائر، 94(1976م)، ص 1292،

³ - دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، المصدر السابق، ص 1299.

الطبيعية، والمؤسسات الكبرى في الصناعة والتجارة والخدمات".¹ وهذا تأكيد صريح على أن الإقتصاد الوطني مبني على الملكية الجماعية وأن الدولة هي من يتولى تنظيمه وتوجيهه وفق مبادئ الاشتراكية، كما ورد في المادة 16: "تتولى الدولة تسيير الاقتصاد الوطني طبقا لخطط تنمية تهدف لأي تحقيق الإكتفاء الذاتي والعدالة في توزيع الثروات والقضاء على التفاوتات الطبقيّة". وهو ما يبرز دور الدولة في التخطيط والتنمية بهدف تحقيق عدالة إجتماعية وإنهاء مظاهر التفاوت والإستغلال.²

كما عبر الرئيس أحمد بن بلة عن تبنيه الواضح والصريح للخيار الإشتراكي مستندا إلى قناعة شخصية وسياسية تكون الإشتراكية هي الطريق الأنسب لتحقيق العدالة الإجتماعية والتنمية الوطنية، ويتجلى هذا التوجه في قوله: "أريد أن أكون صريحا معكم... أنني عازم على تطبيق الإشتراكية في هذا البلد وقد فكرت طويلا وإقتنعت بأن الجزائر بحاجة إلى الكفاءة وإلى الكفاءات الثورية بصورة خاصة والإشتراكية لا يمكن أن تنجح بدون إشتراكيين". يكشف هذا التصريح أن بن بلة لم يتعامل مع الإشتراكية كمجرد خيار ظرفي أو شعار سياسي، بل كمشروع متكامل يستوجب تحضيرا واعيا وكفاءات مؤهلة لتجسيده على أرض الواقع.³

وإذا كان بن بلة قد تبني الإشتراكية كخيار لبناء الدولة فإن فرحات عباس من جهته إتخذ موقفا متحفظا من هذا التوجه معبرا عن رفضه للنموذج الإشتراكي المستورد، حيث يقول في هذا الصدد: "ومها يكن هذه الإشتراكية ليست اللباس المنشود للجزائر فلا يمكن أن نزرع شجرة من موسكو في هضابنا العليا لأنها ستموت حتما". يعكس هذا التصريح موقف فرحات عباس الرفض لأنماط إيديولوجية دخيلة لا تنسجم مع الواقع الجزائري، مؤكدا على ضرورة بناء نموذج وطني نابع من خصوصيات المجتمع لا مستورد من تجارب أجنبية⁴، وتتضح رؤيته أكثر من خلال قوله: "ومهما يكن من أمر فإنه من الضروري، بل من المخجل أن نستعير من أوروبا الصناعية إشتراكيته الماركسية والشمولية من أجل إعادة إحياء مجتمعا وضمان العمل للعمال وضمان قوتهم وكرامتهم، وما هذا إلا دليل على ضعف الفكر والجهل التام بمبادئ الإسلام الإجتماعية

1 - المصدر نفسه، ص 1296.

2 - نفسه، ص 1296.

3 - حسين عبد الرزاق، التجربة الإشتراكية في الجزائر، المعهد العالي للدراسات الإشتراكية، دم ن، د س ن، ص 24.

4 - عباس فرحات، غدا سيطلع النهار، تر: حسين لبراش، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 1981م، ص 39.

"، ففرحات عباس من هنا لم يكن ضد العدالة الاجتماعية في حد ذاتها بل ضد محاولة تحقيقها من خلال نماذج مستوردة تتجاهل مقومات الهوية الجزائرية، خاصة ما تحمله المبادئ الإسلامية من قيم تضامن وتكافل كفيلة لبناء مجتمع عادل دون الحاجة لإستيراد إيديولوجيات غريبة.¹

وبعد إستعراض أهم المرجعيات الرسمية التي كرس "الإختيار الاشتراكي في الجزائر" برنامج طرابلس لعام 1962م، دستور الجزائر لعام 1976م يأتي الآن دور تحليل موقف المفكر مصطفى الأشرف من هذا الخيار بإعتباره فاعلا فكريا وشاهدا على مرحلة إعادة بناء الدولة الوطنية بعد الإستقلال، فقد تناول الكاتب مسألة الاشتراكية من زاوية نقدية، حيث لم يرفضها كمبدأ، بل أبدى تحفظه على الكيفية التي تم بها تطبيقها في السياق الجزائري، منتقدا طابعها البيروقراطي وغياب المشاركة الشعبية في تجسيدها العملي، ومن الطبيعي أن يعكس هذا التصور بوضوح في كتابه "الجزائر : الأمة والمجتمع" حيث صرح بأن الاشتراكية تمثل الخيار الحتمي والصحيح الذي ينبغي على الدولة والحزب أن يبذلا أقصى ما في وسعهما من أجل ترسيخه وتعميمه في المجتمع، باعتبارها وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية والقضاء على التفاوتات الطبقية التي خلفها الإستعمار.² فالغاية المرجوة من الاشتراكية هي تجاوز النموذج البورجوازي القائم على التنافس الفردي والسعي نحو إقامة مجتمع تضامني لا طبقي يستبدل فيه السعي وراء الثراء الفردي بمبدأ التعاون الجماعي ويحقق فيه ثراء المجتمع تطورا منسجما وشاملا لكل أفراد.³

يرى مصطفى الأشرف أن تحقيق " النهضة الاشتراكية " مرهون بالإنطلاق من قاعدة صناعية صلبة، باعتبار أن تطوير القطاع الصناعي يمثل المحرك الأساسي لكل أشكال التقدم والرفي الإقتصادي والإجتماعي، وهو بذلك يولي الأولوية لتطوير القطاع الصناعي باعتباره مدخلا ضروريا لتحقيق الأهداف الاشتراكية⁴ غير أن هذا التصور يختلف عن ماجاء في ميثاق طرابلس الذي منح الأسبقية للثورة الزراعية باعتبارها الشرط الأساسي لخلق سوق داخلية، حيث ورد فيه أن التصنيع لا يمكن أن يتم دون القيام أولا " بثورة حقيقية في

1 - المصدر نفسه، ص 38.

2 - حياة رحايلي، مصطفى الأشرف : موقفه من الإسلام وتصوره للإشتراكية في مشروع الثورة الجزائرية من خلال كتابه الجزائر "الأمة والمجتمع"، المرجع السابق، ص 290.

3 - أرنست ماندل، مدخل إلى الإشتراكية العلمية، ددن، د م ن، د س ن، ص 160.

4 - مصطفى الأشرف، الجزائر : الأمة والمجتمع ،المصدر السابق، ص 10 .

الحياة الريفية" وهو ما يعكس إختلافا في ترتيب الأولويات بين الرؤية الفكرية لمصطفى الأشرف والمقاربات الرسمية التي إعتمدتها الدولة في بدايات الإستقلال .¹

وفي سياق حديثه عن شروط نجاح المشروع الاشتراكي، يرى مصطفى الأشرف أن الطبقة العاملة ينبغي أن تكون في صلب عملية تسيير الدولة، غير أن ذلك لا يتحقق إلا بعد العمل على توعيتها سياسيا وتنظيما وتحسينها من نفوذ الطبقة البورجوازية، ومن البيروقراطية الغوغائية التي تفرغ الاشتراكية من مضمونها، ويؤكد في هذا الإطار على ضرورة تسليم مقاليد الأمور للعمال تدريجيا بالتعاون مع طبقة متوسطة تسعى إلى خدمة مصالح البلاد والعباد في صيغة حكم جماعي يضمن التوازن والإستقرار ويعبر عن مختلف مكونات المجتمع المنتج، غير أن هذا التصور لا يحظى بإجماع النخبة الفكرية والسياسية فقد عبر فرحات عباس عن حيرته حيال هذه المسألة متسائلا : هل يمكن للطبقة العاملة في الجزائر أن تحكم البلاد وتسيرها حاليا ؟ وأين هم إطارات هذه الطبقة ومفكروها ؟ وهو ما يعكس عدم إقتناعه بقدرة هذه الطبقة لتولي مسؤوليات الحكم وقيادة الدولة في تلك المرحلة .²

إنطلاقا مما تم عرضه في هذا الفصل يمكننا إستخلاص ما يلي :

من خلال تنوع المواقف واختلاف الزوايا التي تناولت بها الثورة الجزائرية يتبين أن إختزالها في مجرد " حرب تحرير" لا يعكس عمقها الحقيقي، فالثورة كانت فعلا وطنيا شاملا تجاوز البعد العسكري إلى أبعاد سياسية، إجتماعية وثقافية، وإذا كانت بعض الآراء قد ركزت على الجوانب الظاهرة للثورة فإن موقف مصطفى الأشرف تميز برؤية تحليلية أعمق حيث نظر إلى الثورة كحدث تأسيسي لإعادة بناء الدولة والمجتمع على أسس جديدة ما يجعلها لحظة تحول تاريخي وليست مجرد صراع مسلح ضد المستعمر، فالأشرف يرفض إختزال الثورة في بعدها الحربي ويؤكد على أن قوتها الحقيقية تكمن في بعدها الرمزي والفكري، أي أنها لم تكن فقط صراعا على الأرض بل صراعا على الذاكرة والهوية والمستقبل .

¹ - حياة رحايلي، مصطفى الأشرف : موقفه من الإسلام وتصوره للإشتراكية في مشروع الثورة التحريرية الجزائرية من خلال كتابه " الجزائر الأمة والمجتمع"، المرجع السابق، ص 291.

² - حياة رحايلي، مصطفى الأشرف : موقفه من الإسلام وتصوره للإشتراكية في مشروع الثورة التحريرية الجزائرية من خلال كتابه " الجزائر الأمة والمجتمع"، المرجع السابق، ص 292.

يتضح أن مفهوم الأمة الجزائرية لم يكن محل إ اتفاق بين مختلف التيارات الفكرية والسياسية في الجزائر خلال المرحلة الإستعمارية، بل عرف تباينا واضحا بين من أنكر وجودها تماما ومن حاول تأطيرها ضمن رؤية سياسية مرنة، ومن ربطها بالهوية الثقافية والدينية، وفي خضم هذا التباين قدم مصطفى الأشرف تصورا مغايرا وأكثر عمقا إذ إعتبر أن الأمة الجزائرية ليست نتاجا لمشروع سياسي أو تعاقد إجتماعي، وإنما هي واقع تاريخي متجذر تشكل بفعل الوعي الجماعي والتجربة الكفاحية الطويلة ضد الإستعمار الفرنسي فهو يرى أن الأمة لا تكتمل إلا بالتححر والسيادة الكاملة وأن هويتنا تنبع من تفاعل مركب بين الأرض والتاريخ والدين واللغة، وبذلك فإن الأشرف يقدم فهما للأمة يرتكز على القطيعة مع الإستعمار على عكس ما نجده لدى جماعة النخبة الإدماجية التي تبنت تصورات أكثر تصالحا مع النظام الإستعماري، وعليه يمكن القول أن مفهوم الأمة في فكر مصطفى الأشرف يعكس نضجا فكريا وسياسيا جعله أقرب إلى حقيقة المشروع الوطني التحري الذي كانت الجزائر تسير نحوه ليسهم بذلك في بلورة تصور شامل للهوية الوطنية في سياق الصراع من أجل الإستقلال .

يتبين من خلال دراسة مسار الاشتراكية في الجزائر أن هذا الخيار لم يكن مجرد إستنساخ لنموذج إيديولوجي جاهز، بل جاء كاستجابة موضوعية لحاجات المجتمع الجزائري بعد الإستقلال، في ظل واقع إقتصادي متخلف وهيمنة إستعمارية تركت البلاد دون بنية إنتاجية حقيقية، فمع مؤتمر طرابلس 1962م تم الإعلان عن الاشتراكية كإطار أساسي لإعادة بناء الدولة والمجتمع بهدف القضاء على التفاوتات الطبقية وتحقيق السيادة الاقتصادية، وقد بلغ التوجه الاشتراكي ذروته في دستور 1976م الذي وضعه الرئيس هواري بومدين حيث تم تكريس الاشتراكية كنظام رسمي للدولة وربطها بالسيادة الشعبية والتوزيع العادل للثروات، فبومدين لم ينظر إلى الاشتراكية بوصفها مجرد مشروع إقتصادي بل إعتبرها أداة شاملة للتحرر من كافة أشكال الإستغلال والتبعية ووسيلة لبناء مجتمع منتج عادل و متماسك ، ومن جهة أخرى ميز المفكر مصطفى الأشرف بين الاشتراكية كوسيلة تنظيم عقلائي للمجتمع معتبرا أن نجاحها مرهون بمدى إنسجامها مع حاجات المجتمع وطموحاته وليس بانغلاقها على نفسها وهكذا فإن الاشتراكية في الجزائر لم تكن مجرد شعار بل شكلت جزءا من مشروع وطني طموح لإعادة بناء الدولة والمجتمع رغم ما رافقها من تحديات، وهي تعكس في نهاية المطاف محاولة تاريخية لصياغة نموذج تنموي بديل يتأسس على السيادة والعدالة والهوية .

خاتمة

الخاتمة :

بعد الإنهاء من هذه الدراسة " مصطفى الأشرف نضاله ومواقفه الفكرية من خلال كتاباته " إتضح بجلاء المكانة الفكرية التي يحتلها المثقف والكاتب الجزائري مصطفى الأشرف ضمن مسار النخبة المثقفة التي برزت في القرن العشرين في سياق مقاومة المشروع الإستعماري الفرنسي الذي لم يستهدف الأرض فقط، بل سعى إلى إحتثات مكونات الهوية الوطنية الجزائرية وفرض نموذج ثقافي فرنسي بالقوة .

لقد شكل مسار مصطفى الأشرف النضالي عن شخصية متجذرة في عمق الحركة الوطنية، حيث لم يكن نضاله مجرد إنخراط شكلي، بل كان خيارا واعيا نابعا من قناعة راسخة بعدالة القضية الجزائرية وضرورة التحرر الشامل .

سمح لنا هذا العمل بتفكيك الرؤية التي قدمها مصطفى الأشرف حول الهوية الوطنية بوصفها بنية مركزية متشكلة تاريخيا مستندة إلى أربعة أعمدة رئيسية " الدين، اللغة، والتاريخ والإنتماء الحضاري " ومن خلال تتبع كتاباته وتحليلاته يظهر أنه كان واعيا تماما بخطورة الإستعمار الثقافي أكثر من العسكري وإعتبر أن معركة الهوية هي معركة طويلة الأمد تبدأ من الوعي لتنتهي بالتحرر الكامل .

لعب مصطفى الأشرف دورا كبيرا لإعادة الإعتبار لتجارب المقاومة وتاريخ الجزائريين من الداخل وليس كما صوره الإستعمار الفرنسي، فقد بنى موقفا تحليليا متوازنا لا يتجاهل التعدد داخل المجتمع الجزائري ولا يفرط في ثوابته، مما يجعله يقدم طرحا فريدا حول الهوية الوطنية يقوم على الإعتراف بالعمق الأمازيغي والإنتماء العربي والجذر الإسلامي والتاريخ المقاوم .

إن التوقف عند أبرز القضايا الفكرية والسياسية التي قام مصطفى الأشرف بمناقشتها من خلال كتاباته وتحليلاته، يبرز بوضوح رؤيته العميقة للمشروع الثوري، ليس فقط كحرب تحرير، وإنما كمشروع شامل للتحرر الوطني وبناء الدولة، حيث رفض إختزال المشروع الثوري في بعده العسكري وإنما إعتبره لحظة تأسيسية لنهضة حضارية تستند إلى تاريخ الأمة الجزائرية وهويتها العريقة .

لم تكن مساهمة الأشرف محصورة في لحظة معينة بل إمتد أثرها إلى ما بعد الإستقلال، حيث ظل إسمه يذكر بأولوية العمل الفكري والنضال السياسي في بناء الدولة الوطنية الحديثة وعدم الإكتفاء بالتححرر السياسي كغاية في حد ذاتها ومن خلال تتبع مسيرته ومسارات تفكيره يتأكد بأن مصطفى الأشرف لم يكن صوتا فرديا معزولا، بل جزءا من نخبة تاريخية أدركت أن المعركة من أجل الإستقلال لا تكتمل إلا بتحرير الفكر وإعادة بناء الإنسان على أسس من الوعي والعدالة والسيادة، ومن هذا المنظور تتعزز القناعة بأن النخبة المثقفة كما مثلها مصطفى الأشرف تضطلع بدور محوري في صوغ الذاكرة الجماعية وصيانة المشروع الوطني في وجه النسيان والانحراف .

قائمة المصادر والمراجع

1 _ القرآن الكريم

2_ الوثائق :

1- النصوص الأساسية لثورة نوفمبر (نداء أول نوفمبر، مؤتمر الصومام، مؤتمر طرابلس)، منشورات ANEP، الجزائر، 1962م.

2- وثائق تتعلق بالتسيير الذاتي، إ.ع: قسم الوثائق والمنشورات بوزارة الأنباء بمشاركة المكتب الوطني لإنعاش القطاع الاشتراكي، مطبعة البعث، قسنطينة، د س ن .

3_ المصادر :

1- الأشرف (مصطفى)، الجزائر : الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007م.

2- الأشرف (مصطفى)، أعلام ومعالم مآثر عن جزائر منسية، تر: أحمد بن محمد، بكلي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007م.

3- الأتاسي (جمال)، الاشتراكية بين ماضيها ومستقبلها، منشورات الطليعة، تونس، 1989م.

4- شيبان (عبد الرحمان)، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2012م.

5- طالس (إبراهيم)، السياسة الفرنسية في الجزائر وإنعكاساتها على الثورة 1956-1958 م، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

6- طلاس (مصطفى)، الثورة الجزائرية، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010م.

7- فرحات (عباس)، الإستقلال المصادر، تر: محمد رباحي وبن داود سلامنية، منشورات الجزائر للكتب، الجزائر، 2015م.

- 8- فرحات (عباس)، الجزائر من المستعمرة إلى الإقليم: الشاب الجزائري متبوع بتقرير الماريشال بيتان أفريل 1941، تر: أحمد منور، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.
 - 9- فرحات (عباس)، غدا سيطلع النهار، تر: حسين لبراش، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 1981.
 - 10- فانون (فرانتز)، معذبوا الأرض نتر: الدروبي سامي، ط2، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، 2015..
- 4_المراجع:
- 1- أبو القاسم (سعد الله)، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ط3، دار الغرب الإسلامي للطباعة والنشر، والتوزيع، الجزائر، 1990م.
 - 2- أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي 1954-1962م، ج10، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
 - 3- برتيمه (وفاء)، ملامح الحضور الفلسفي في الفكر الجزائري : جدل التأصيل لخصوصية الإبداع ونقد حدود الإقتباس عن الآخر، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، 2023 م.
 - 4 - بن نبي (مالك)، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، ط1، دار الفكر، دمشق -سوريا-، 1984.
 - 5- بن نبي (مالك)، مشكلة الثقافة، ط15، دار الفكر، دمشق -سوريا-، 2011م.
 - 6- بورجان (جورج)، رامبير (بيار)، هذه هي الاشتراكية، تر: محمد عيتاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1952.
 - 7- بوصفصاف (عبد الكريم)، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج2، در الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2021م.
 - 8- بوعزيز (يحيى)، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج3، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر - عين مليلة-، 2009م.

- طاهر جبلي، دور القاعدة الشرقية في الثورة الجزائرية 1954-1962، دار الأمة، الجزائر ن 2014م.
- 9 - حربي محمد، سنوات المخاض، تر: نجيب عباد، صالح المثلوني، سلسلة صاد، الجزائر، 1994م.
- 10- حسين (عبد الرزاق)، التجربة الاشتراكية في الجزائر، المعهد العالي للدراسات الاشتراكية، د م ن، د س ن .
- 11- الزيري (محمد العربي)، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، 1984م.
- 12- سعدي (عثمان)، الجزائر في التاريخ، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- 13- سعود (الطاهر)، أبحاث وآراء في الفكر والثقافة والإجتماع، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2012 .
- 14- الشطي (فوزية)، مفهوم الاشتراكية في فكر البعث، سلسلة البحوث الجامعية، جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منشورات الطليعة، تونس، 2007-2008م.
- 15- صاري (جيلالي)، بروز النخبة المثقفة الجزائرية 1850-1950م، تر: المعراجي محمد، منشورات ANEP، الجزائر، 2007.9م- فراد (محمد أرزقي)، إضاءات في تاريخ الجزائر معالم وأعلام، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2021م.
- 16 - قداش (محمود)، جزائر الجزائريين، 1830-1954م، تر: محمد العراجي، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2008.
- 17- كوش (دنيس)، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة والنشر، بيروت، 2007م.
- 18- لعمامرة (سعد)، مسيرة حياة رؤساء الجزائر، وحكوماتها 1962-1998م، موالحكومات الجزائرية واعضاءها 1962-2012م، دار هومة للنشر والتوزيع، الوادي، 2013م.

19- ماندل (أرنست)، مدخل إلى الاشتراكية العلمية، د د ن، د م ن، د س ن .

5_الجرائد :

1 - الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية " إتفاقيات دولية، قوانين وأوامر ومراسيم، قرارات، مقررات، مناشير، إعلانات وبلاغات "، الجزائر، 94(1976م) .

2_ الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد33(1977/04/23م) .

6_الرسائل الجامعية :

1 - بودريوع (صبرينة)، الحياة الاجتماعية في ظل النظام الاشتراكي بالجزائر " المرحلة البومدينية نموذجاً 1965-1978م"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، 2010-2011م.

2 - الشمري (جميلة)، مفهوم الثقافة في الفكر العربي والفكر الغربي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، د س ن .

3 - عرعار (زكية)، الخطاب النقدي ما بعد الكولونيالي عند مصطفى الأشرف، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد الأدبي والدراسات الثقافية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي 2017-2018م.

4 - لهلاي (سلوى)، المسألة الثقافية في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية 1919 -1954م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، قسم التاريخ، 2016 -2017م .

- 5 - مسعودي (مجيد)، مسألة الهوية في برامج الحركة الوطنية الجزائرية 1926-1954م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر3، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، قسم التنظيم السياسي والإداري، 2017-2018م .
- 6 - منغور (أحمد)، اليسار الفرنسي والثورة الجزائرية 1954-1962: الحركة الاشتراكية بمنطقة الشرق الجزائري نموذجا، جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، 2017-2018م.
- 7 - رحايلي (حياة)، الإسلام والاشتراكية في مشروع الثورة الجزائرية تنظيرا وممارسة، أطروحة مكتملة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الثورة الجزائرية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2019-2020م.
- 8 - نعيمة (سلاف)، النخبة المثقفة والسلطة في الجزائر " مصطفى الأشرف نموذجا "، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة وهران، كلية الحقوق، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2012-2013م .

7 المقالات :

- 1-الأشرف (مصطفى)، الكفاح السياسي والثقافي، مجلة الفكر، 04 (1936م)
- 2- الأشرف (مصطفى)، البطولة العربية وعوامل نشأتها بين الواقع والمثالية، مجلة الفكر التونسية، 04(1960م).
- 3- الأشرف (مصطفى)، الجزائر في تاريخ الحضارة، تر : حنفي بن عيسى، مجلة الأصالة، 02(1971م)
- 4- أوسليم (عبد الوهاب)، مؤتمر المجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس ماي - جوان 1962م " الأسباب، المجريات، القرارات " مجلة دراسات حول الجزائر والعالم، 01 (2013م) .

- 5- أوكيل (محمد أمين)، الهوية الأمازيغية ومسألة بناء الدولة الجزائرية في الجزائر مقارنة قانونية، مجلة الإجتهد للدراسات القانونية، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 04(2019م) .
- 6- بلامين (نصيرة)، قراءة في كتاب الجزائر الأمة والمجتمع لمصطفى الأشرف، مجلة فوكس، 2021م.
- 7- بهلول (لعوبنة)، جيلاني كويبي معاشو، اللغة الأمازيغية في الجزائر الرهانات والتحديات، مجلة أفاق فكرية، جامعة معسكر، 09(2018م) .
- 8- بن دراجي (بشرى)، البعد الإسلامي للنخبة الجزائرية في نضالها السياسي ضد الإستعمار الفرنسي، جامعة الحاج لخضر باتنة، 02(2021م) ، مج 6 .
- 9- بن عتو (بلبروات)، وقائع وكواليس إختطاف طائرة زعماء الثورة الجزائرية في 22 أكتوبر 1956م، مجلة العصور الجديدة، 09(2013م) .
- 10- بوصفصاف (عبد الكريم)، تصورات المجتمع الجزائري في كتابات مصطفى الأشرف، مجلة الحوار الفكري، 07(2005م).
- 11- درسوني (شهرة)، مشكلة الثقافة ومشروعية الثورة الثقافية في فلسفة عبد الله شريط، مجلة المعيار، جامعة أبو القاسم سعد الله 2 الجزائر، 61(2021م)، مج 25 .
- 12- دركوش (أحمد)، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للدفاع عن اللغة العربية الجزائرية من خلال جريدة البصائر، مجلة تطوير العلوم الإجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 14(2022م)، مج 2.
- 13- رحايلي (حياة)، مصطفى الأشرف :موقفه من الإسلام وتصوره للإشتراكية في مشروع الثورة الجزائرية من خلال كتابه :الجزائر الأمة والمجتمع، المجلة التاريخية المغربية، 174(2019م).
- 14- الزاوي (أمين)، أقص عليكم حكايتين : حكاية عن جميلة بوحيرد والأخرى عن مصطفى الأشرف، ورقة بحثية منشورة في جريدة الشروق اليومي .
- 15- عريب (مختار)، مفهوم الدولة الإشتراكية الجزائرية، مجلة الحوار الفكري، 08(2006م) .

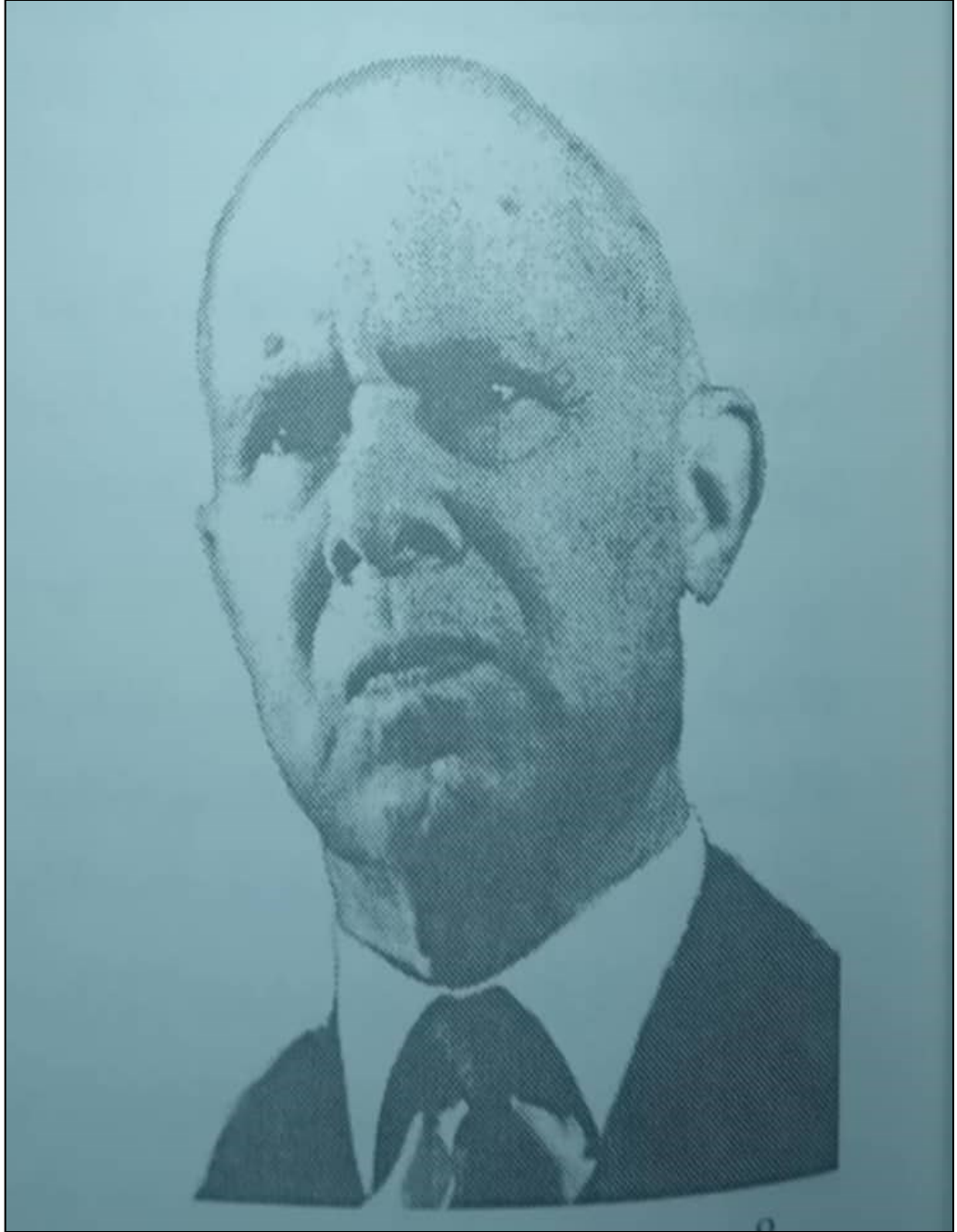
16- ميمون (سفيان)، مواقف وأراء حول الثقافة الوطنية في الجزائر، مجلة الحقيقة، ، ، 42(2018م) .

8 _ الملتقيات :

1 – جياب (فاروق)، الحبيب بورقيبة ودوره في تدويل القضية الجزائرية، أعمال الملتقى الوطني حول دبلوماسية الثورة الجزائرية وإشكالية تدويل القضية الجزائرية بين التحالفات الإقليمية والإستراتيجية الدولية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 30-31 أكتوبر 2018م

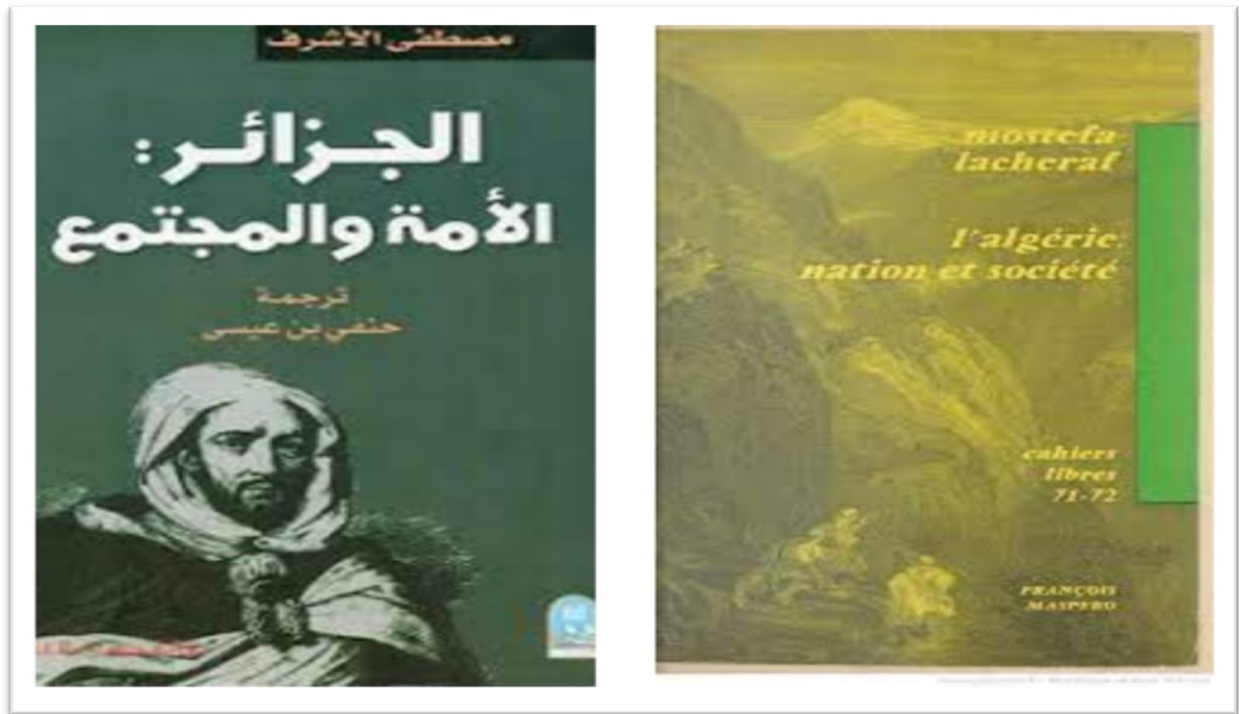
الملاحق

الملحق رقم 01 : مصطفى الأشرف



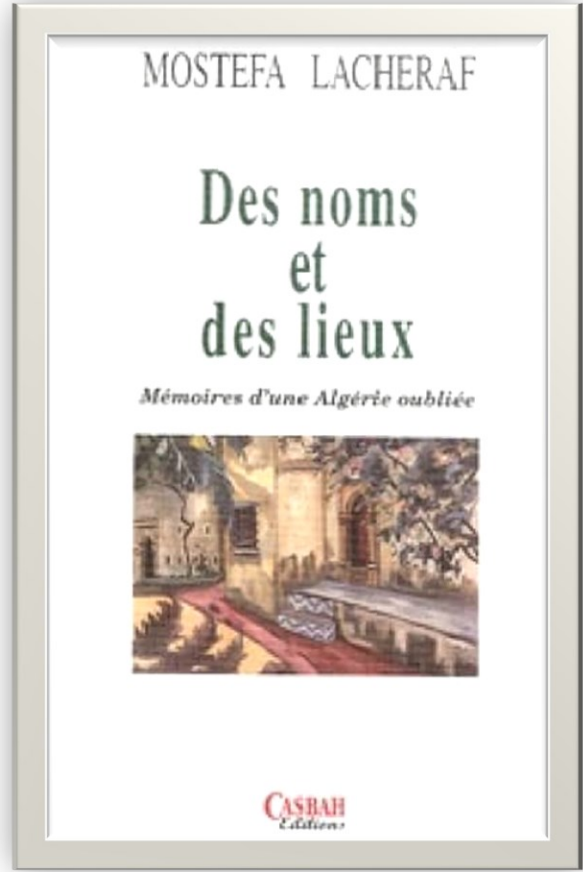
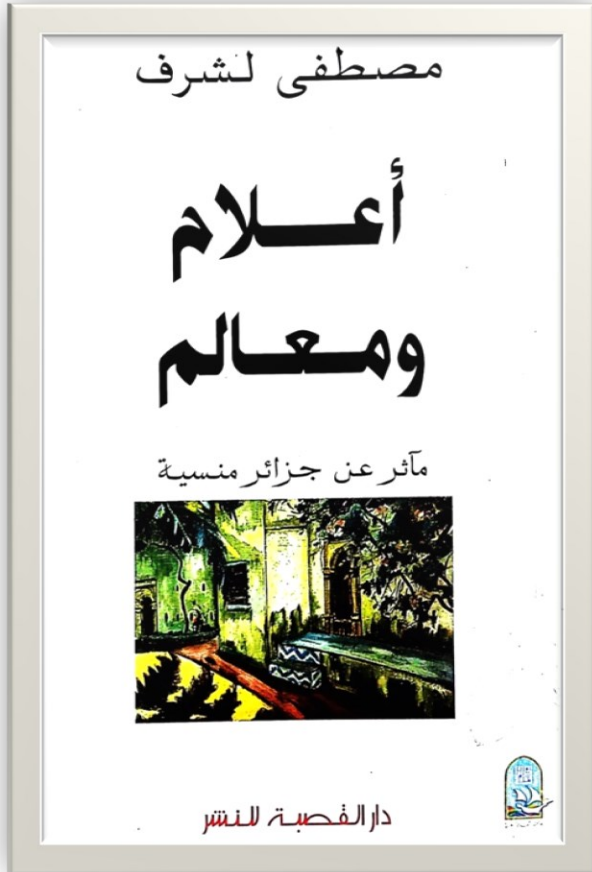
المصدر: جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 81

الملحق رقم 2: واجهة كتاب الجزائر الأمة والمجتمع بنسختيه العربية والفرنسية .



المصدر : <https://www.noor-book.com>، تاريخ الإطلاع : 2025/06/04، الساعة : 18:00.

الملحق رقم 3 : واهجهة كتاب أعلام ومعالم مآثر عن جزائر منسية .



المصدر: متاح على الرابط : [https:// radio Algérie .dz](https://radioAlgerie.dz)،

تاريخ الإطلاع: 2025/06/4، الساعة: 18:00 .

الملحق رقم (4) : إختطاف طائفة الزعماء الخمسة 1956م، من اليمين إلى اليسار : أحمد بن بلة، محمد بوضياف، حسين آيت أحمد، مصطفى الأشرف ، محمد خيضر .



المصدر : متاحة على الرابط : . [https // www . getty images . com](https://www.gettyimages.com) ، تاريخ الإطلاع : 2025/06/10 ، الساعة : 10:00 .

الملحق رقم 05 : مصطفى الأشرف وزيرا للتربية الوطنية سنة 1977

665	الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية	الأحد 19 جمادى الأولى عام 1397 هـ
مراسيم ، قرارات ، مقررات		
رئاسة الجمهورية		
مرسوم رقم 77 - 73 مؤرخ في 4 جمادى الأولى عام 1397 الموافق 23 أبريل سنة 1977 يتضمن إعادة تنظيم هيكل الحكومة		
إن رئيس الجمهورية، - بناء على الميثاق الوطني، - وبمقتضى الدستور ولا سيما المواد II3 و II4 و II5 و III - 5 منه، يرسم مايلي : المادة الأولى : يعاد تنظيم هيكل الحكومة التي تؤلف على النحو التالي :		
عبد العزيز بوتفليقة	وزير الشؤون الخارجية	
محمد الطيبي العربي	وزير الفلاحة والثروة الزراعية	
محمد بن أحمد عبد الغني	وزير الداخلية	
أحمد بن الشريف	وزير الري واستصلاح الاراضي وحماية البيئة	
أحمد درايس	وزير النقل	
أحمد طالب الأبراهيمي	وزير مستشار لدى رئيس الجمهورية	
بوعلام بن حمودة	وزير الاشغال العمومية	
بلعيد عبد السلام	وزير الصناعات الخفيفة	
محمد الصديق بن يحيى	وزير المالية	
محمد السعيد مغزو	وزير المجاهدين	
مولود قاسم نايت بلقاسم	وزير لدى رئاسة الجمهورية مكلف بالشؤون الدينية	
سعيد آيت مسعودان	وزير الصحة العمومية	
مصطفى الأشرف	وزير التربية	
عبد المالك بن حيلس	وزير العدل	
عبد اللطيف رحال	وزير التعليم العالي والبحث العلمي	
محمد زرقيني	وزير البريد والمواصلات	
محمد امير	وزير العمل والتكوين المهني	
عبد المجيد أوشيش	وزير السكن والبناء	
محمد يعلى	وزير التجارة	
رضا مالك	وزير الاعلام والثقافة	
عبد الفتى العقبى	وزير السياحة	
جمال حوحو	وزير الشباب والرياضة	
محمد الياسين	وزير الصناعة الثقيلة	
أحمد غزالي	وزير الطاقة والصناعات البتروكيمياوية	
كمال عبد الله خوجة	كاتب الدولة للتخطيط	
المادة 2 : يتولى رئيس الجمهورية مهمة وزارة الدفاع الوطني. المادة 3 : تنشأ كتابتان للدولة احدهما مكلفة بالانتاج النباتي ، والاخرى بالانتاج الحيواني. المادة 4 : ينشر هذا المرسوم في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. حرر بالجزائر في 4 جمادى الأولى عام 1397 الموافق 23 ابريل سنة 1977. هواري بوعدين		

المصدر : الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، العدد33(1977/04/23)

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	الشكر والعرفان
	الإهداء
	قائمة المختصرات
8-1	المقدمة
20-9	الفصل الأول: مصطفى الأشرف: المثقف والكاتب
12-10	1 - المولد والنشأة
13-12	2 - المسيرة التعليمية
19-14	3 - الإنتاج الفكري
30-21	الفصل الثاني: نضاله السياسي في الفترة الإستعمارية ومرحلة ما بعد الاستقلال
24-23	1 - نضاله في الحركة الوطنية
26-25	2 - انضمامه للثورة التحريرية
28-26	3 - حادثة اختطاف الطائرة
29-28	4 - أهم المناصب التي تقلدها بعد الاستقلال
50-31	الفصل الثالث: الهوية الجزائرية في فكر مصطفى الأشرف
37-33	1 - الإسلام
42-38	2 - اللغة العربية
48-43	3 - الثقافة
49-48	4 - الأمازيغية
72-51	الفصل الرابع: مشروع الثورة الجزائرية في فكر مصطفى الأشرف
56-52	1 - هل الثورة الجزائرية مجرد حرب؟
60-56	2 - مفهوم الأمة
70-60	3 - الاشتراكية الجزائرية
74-73	الخاتمة

82-75	قائمة المصادر والمراجع
88-83	قائمة الملاحق
-	فهرس الموضوعات
-	ملخص الدراسة

ملخص باللغة العربية :

مصطفى الأشرف، نضاله ومواقفه الفكرية من خلال كتاباته " من أكثر المواضيع أهمية في تاريخ الجزائر المعاصر حيث يتبين لنا أن مصطفى الأشرف لم يكن مجرد شاهد على التحولات الكبرى التي عرفت الجزائر، بل كان فاعلا ومساهما في صياغة الوعي الوطني والفكري من خلال نضاله المستمر وقلمه الملتزم، فقد شكلت كتاباته مرآة صادقة تعكس قلق المثقف في فترة ما بعد الإستعمار وتطرح تساؤلات جوهرية حول الهوية والمصير الوطني والتعليم من خلال تتبع مسيرته الفكرية والسياسية، لمسنا كيف حافظ مصطفى الأشرف على إستقلالية فكره ورفض الإنسياق خلف الخطابات الجاهزة مما جعله صوتا نقديا ضروريا في زمن كانت فيه الأصوات الحرة نادرة، قد أثبت هذا البحث أن فكر مصطفى الأشرف مازال يحمل راهنية كبيرة .

الكلمات المفتاحية : مصطفى الأشرف، المثقف، الهوية، المسيرة الفكرية والسياسية .

ملخص باللغة الإنجليزية:

In conclusion, This research has shown that Mustapha Lacheraf was not merely a witness to the major transformations Algeria underwent, but an active contributor to the shaping of national and intellectual consciousness through his ongoing struggle and committed writing. His works reflect the concerns of a post-colonial intellectual who raised fundamental questions about identity, national destiny, democracy, and education. By tracing his intellectual and political journey, we observed how Lacheraf consistently upheld the independence of thought and refused to conform to dominant narratives, making his voice a critical and necessary one in times when free expression was scarce. This study confirms that Mustapha Lacheraf's thought remains profoundly relevant today, urging us to revisit our history with a critical lens and to envision a more inclusive and human-centered national project.

Keywords

Mustapha Lacheraf , The intellectual ,Identity, Intellectual and political journey